سَبِيلُ العِزَّة

في التَّعليق على مائَةِ فَائدةٍ مُستخلصةٍ

مِن حَادثِةِ الأَقصَى وغَزَّة

كتبه

م. منتصر بن عبد الفتاح بن ظاهر بيبرس

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد الله؛ نحمـده ونـستعينه، ونـستغفره، ونـستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فـلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله؛ وحـده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبـده ورسوله.

وبعد:

فهـذه سلـسلة تعليقـات يـسيرة علـى أهـم الفوائـد المستخلصة من (حادثـة الأقـصى وغـزَّة)؛ والتـي ننـشرها مـرارًا وتكـرارًا علـى وسـائل التواصـل الاجتماعـي؛ نـشرًا للفائدة، ونصرة لإخواننا في الدين، ومحاربة لليهود الظالمين الملاعين والرافضة الحاقدين! وكشفًا لأخطـاء الحـزبيين! وتأييدًا للعلماء السلفيين.

وهذه الفوائد ننشرها كل مرة يحدث فيها الاعتـداء علـى الأقصى وعلى أهل فلسطين عامة وأهل غـزَّة خاصـة؛ مـن قبل إخوان القردة والخنازير اليهود الملاعين! -قاتلهم الله، ونصرنا الله عليهم-.

ومع تكرر الأحداث في كل مـرة وكـل عـام! والتـي (مـا تغيـرت علـى إخواننـا في فلـسطين منـذ قرابـة الخمـسة والسبعين عامًا)؛ إلا أننا نذكر بالالتزام بسبل النصر والعـزة والتمكين الشرعية التي أمرنا بها ربنا العظيم في كتابه الكريم وأرشدنا إليها نبيه الكريم في سنة خير النبيـين بفهـم سـلف الأمة خير الناس بعد النبيين والمرسـلين -علـيهم رضـوان رب العالمين، وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم-.

وسـتكون هـذه السلـسلة بتعليقـات يـسيرة؛ ليـسهل مذاكرتها، والاستفادة منهـا،ونشرها لطلبة العلم وغيرهم.

نسأل الله أن يتقبل منا، وأن يجعلنا خير خلف لخير سلف

مات على السنة، ونسأل الله أن يفرج على إخواننا في فلسطين وغزَّة، وأن ينصرهم على عدوهم، وأن يجعل كيد أعدائهم في نحورهم، وأن يرينا باليهود الغاصبين هزيمةً وذلًا وصغارًا إلى يوم الدين، وأن يكفيهم شر الرافضة الحاقدين، ونسأله أن يرزقنا الصلاة في المسجد الأقصى محررًا محفوظًا في حوزة المسلمين ومعمورًا بعباده المؤمنين.

فأبدأ مستعينًا بالله، متوكِّلًا عليه، مصلِّيًا على نبيه.

م. منتصر بيرس

(١٤٤٥/٤/٢٤هـ - ٢٠٢٣/١١/٨م)

مائَـة فائِـدةٍ مُستخلَصة
مِن حَـادثة الأَقصَى وغَزَّةً

١- بيان كفر اليهود وخبثهم وضلالهم.

٢- انكشاف ما يخطط له اليهود في فلسطين.

٣- ظهور جُبن اليهود وتسترهم خلف القرى المحصنة.

٤- استغلال اليهود شهر رمضان وأعياد المسلمين لإدخال الحزن عليهم.

٥- انتقام الله لعباده المسلمين بأن أماتهم في احتفالاتهم وأعيادهم وتجمعاتهم.

٦- بيان أن المسجد الأقصى عند اليهود ليس له حرمة، وأن المصلين عندهم لا حرمة لهم.

٧- بيان تخطيط اليهود لبناء هيكل سليمان المزعوم، وإصرارهم على تطبيقه.

٨- بيان أن اليهود بوجهين، ولا يؤمن جانبهم.

٩- بيان أن اليهود يعلمون أن الحرب الإعلامية مهمة.

١٠- استغلال اليهود للنصوص الشرعية فيما يوافق أهواءهم.

١١- معرفة اليهود بديننا، وعلمهم بمصادر التشريع، وأنهما هما سبب النجاة للمسلمين.

١٢- بيان أن اليهود مهما تسلّحوا وتترَّسوا فسيظهر عوارهم وضعفهم وخورهم.

١٣- معرفة اليهود أن الجهاد باللسان والقلم فرع عن الجهاد بالسنان.

١٤- عدم التزام اليهود بالتوراة ومنها: (الوصايا العشر)، ومنها (لا تقتل).

١٥- سعي اليهود لتغيير ملامح القدس وتهويد أحيائها.

١٦- ظهور شفاء صدور المؤمنين بما ظهر من موت اليهود في احتفالاتهم.

١٧- ظهور أن الوباء الحقيقي هم: اليهود، واستغلال اليهود انتشار الوباء لقتل المسلمين.

١٨- بيان تخطيط اليهود لإضعاف الدول العربية

والإسلامية لتنفيذ مخططاتهم.

١٩- بيان أن من قتل أنبياء الله ومن سمم نبينا محمد ﷺ لن يتورع عن قتل غيرهم.

٢٠- بيان أن التيه الحقيقي الحالي هو: تيه اليهود في أفعالهم الخبيثة ومخططاتهم الفاسدة؛ كما تاهوا من قبل في تيههم.

٢١- نقض اليهود للعهود والمواثيق.

٢٢- استهداف اليهود للمدنيين والنساء والضعفاء والأطفال.

٢٣- استغلال اليهود لتدمير البنية التحتية لبلاد المسلمين.

٢٤- معرفة اليهود بمواقع البلاد الإسلامية ونقاط القوة والضعف.

٢٥- سيطرة اليهود على وسائل التواصل الاجتماعي واستغلالها لصالحهم.

٢٦- خبث اليهود في جلب الأنظار لهم والتعاطف معهم.

٢٧- بيان كذب الرافضة وكذب شعاراتهم.

٢٨- بيـان توافـق خارطـة الهـلال الـشيعي مـع الهـلال اليهودي.

٢٩- بيان أن المسجد الأقـصى عنـد الرافـضة لا أهميـة له.

٣٠- ظهـور معتقـد الرافـضة: أن الأقـصى في الـسماء الرابعة.

٣١- ظهـور التقيـة الرافـضية؛ لأنهـم يبطنـون مـا لا يظهرون

٣٢- بيان أن الترامي في أحضان الرافضة لا يجدي نفعاً وهو كالمستجير بالنار من الرمضاء!

٣٣- بيـان أن شـافعية غـزة -وعلـى رأسـهم: الإمـام الشافعي- تأبى الرفض وأهله.

٣٤- بيان أن مآذن الأقصى ستصدح بالـشهادتين على أذان أهل الـسنة، ولا تـؤذن كـأذان الرافـضة: (أشـهد أن علـيًّا ولي الله).

٣٥- بيـان أن فـواتح سـورة الإسـراء وإثبـات الأقـصى

الحقيقي هي سبب النصر، لا فواتح سورة الولاية عند الرافضة.

٣٦- بيان أن خواتيم سورة الفاتحة وإثبات (غير المغضوب عليهم) -وهم: اليهود-، هي سبب النصر، لا خواتيم سورة الولاية عند الرافضة.

٣٧- ظهور فرح أهل السنة مع إخوانهم، وفرح الرافضة مع إخوانهم اليهود.

٣٨- إن تسمية الرافضة: (فيلق القدس) ما هو إلا من التقية.

٣٩- بيان كيل الرافضة بمكيالين، ودعمهم للحوثيين وتخليهم عن أهل السنة.

٤٠- ظهور أن دماء أهل السنة عند الرافضة رخيصة.

٤١- ظهور أن أساس الرافضة من عبد الله ابن سبأ اليهودي.

٤٢- بيان أن سب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم ليس كمن ترضى عنهم.

٤٣- بيان أن الحسينيات ليست كالمساجد في فلسطين

وغزة.

٤٤- تشابه قتل اليهود لأهل السنة كقتل الرافضة لأهل السنة.

٤٥- نقض الرافضة للعهود والمواثيق.

٤٦- تجسس الرافضة مع اليهود.

٤٧- صدق أقوال أئمة أهل السنة أن: الرافضة يهود القبلة.

٤٨- عدم الالتفات للعواطف الجياشة ودغدغة المشاعر للتقريب بين الرافضة وأهل السنة.

٤٩- ظهور النفاق عند بعض الدعاة والعوام، والفرح والرضا بما يفعله اليهود بالمسلمين.

٥٠- بيان خطر الجاسوس وفساد عمله، على خلاف في كفره بين العلماء.

٥١- بيان خطر التولي والموالاة لليهود من الحكام والمحكومين، على تفصيل في كفر التولي وعدم كفر الموالاة، مع إثبات أنها من الكبائر.

٥٢- بيان خطر التولي والموالاة للرافضة من الحكام

والمحكومين، على تفصيل في كفر التولي وعدم كفر الموالاة، مع إثبات أنها من الكبائر.

٥٣- ظهور بطلان صفقة القرن المزعومة، وأنها صفقة خاسرة.

٥٤- بيان معرفة اليهود بأن إضعاف الأمن عند البلدان الإسلامية هو لتمرير مخططهم.

٥٥- ظهور مخطط اليهود في زرع الفتن والحروب في البلدان الإسلامية وتفريقها.

٥٦- إن تكفير البلاد الإسلامية شعوبًا وحكامًا هو لإضعافها، واليهود تهتم بذلك وتنشره.

٥٧- إن المسلم السني يسعى لتقوية البلاد الإسلامية وعدم زرع الفتن والقلاقل والمحن؛ حتى تبقى قوية لنصرة الأقصى ومحاربة اليهود.

٥٨- الدعوة إلى وقوف البلدان الإسلامية حكامًا ومحكومين مع إخواننا في فلسطين.

٥٩- الدعوة إلى عدم معاونة البلدان الإسلامية حكامًا ومحكومين لليهود، وعدم تقويتهم.

٦٠- بيان أن الدعم الاقتصادي للكافر اليهودي يقويه، وعلى المسلم أن يضعفه.

٦١- بيان أن الدعم الاقتصادي للمسلم في فلسطين يقويه ويشدد أزره.

٦٢- بيان أن فتح المعابر بغرض الدعم بكافة أشكاله لا بد منه، وفيه تقوية للمسلمين.

٦٣- بيان أن الوقوف في مداواة الجرحى وإرسال المستشفيات: من الجهاد والوقوف مع المسلمين.

٦٤- التنبيه على حرمة الدم المسلم وأن دمه ليس برخيص، والدفاع عن حقن الدماء.

٦٥- عدم استغلال القضية الفلسطينية لتمرير الأجندات الأخرى.

٦٦- عدم استغلال القضية الفلسطينية لجمع الأموال دون إيصالها لأصحابها.

٦٧- عدم استغلال القضية الفلسطينية لزرع الفتن وإضعاف الأمن في البلدان الإسلامية.

٦٨- عدم استغلال القضية الفلسطينية لنشر البدع

والضلالات.

٦٩- استغلال القضية الفلسطينية لنشر التوحيد والدعوة للكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

٧٠- نشر القوة بين المسلمين وعدم إضعافهم، وأن سبب القوة هو: التمسك بالدين.

٧١- الرجوع لله في أي نصر، وعدم الاغترار بالنفس والمال والعدة.

٧٢- استشعار رحمة الله، وأن الله يقف مع عباده الموحدين، وعدم القنوط من رحمة الله.

٧٣- بطلان وحدة الأديان والاجتماع مع اليهود على دين واحد، والفرق بين حوار الأديان ووحدة الأديان.

٧٤- بطلان دعوة البيت الإبراهيمي؛ وإن زيَّنه بعض الدعاة! المفسدين على الشاشات.

٧٥- الدعوة الى التوحيد بأنواعه أهم العبادات وأساس الجهاد.

٧٦- الإعداد الإيماني أساس الإعداد للعدو.

٧٧- منهج التصفية والتربية جنبًا الى جنب مع الإعداد

المادي بالعدة والعتاد.

٧٨- فقه آية سورة الروم، وأن الفرح لنصرة المخالف ضد الكافر.

٧٩- الوقوف مع المخالف ضد اليهود لجامع الأخوة الإسلامية، ولا يفرح المسلم بنصرة الكافر على المخالف.

٨٠- الوقوف مع المخالف لا يعني: إقراره على مخالفاته للكتاب والسنة، والرد وبيان أخطائه بالأسلوب العلمي والطرح المناسب.

٨١- الرد على المخالف لا يعني: مؤازة الكافر اليهودي، فقد رد النبي ﷺ على شبهة وهو يحارب المشركين وبيَّن أن تعليق الأسلحة بشجرة ذات أنواط مخالف للتوحيد، وبين أن هذا الفعل يناقض ما خرجوا لأجله؛ فأنكر المنكر عليهم، ولا يعني ذلك: وقوفه مع المشكرين!!

٨٢- بيان أنواع الجهاد: (الطلب، الدفع)، وشروط كل منهما كما هو موجود في كتب الفقه.

٨٣- بيان أن الإعداد المادي من العدة والعتاد مهم، وأن محاربة الكافر الأصل أن يكون فيها: قوة وقدرة

وسلاح، ثم الدخول لقتاله، دون الخوض فيه بقدرة ضعيفة؛ حفاظًا على دماء المسلمين.

٨٤- بيان أن الجهاد يكون بالنفس والمال والقلم، كل على حسب قدرته.

٨٥- عدم التهوين من شأن الدعاء، وأن الدعاء من أقوى الاسلحة.

٨٦- عدم التهوين من المجاهدة بالقلم واللسان؛ فقد كان حسَّان رضي الله عنه يدافع بلسانه ويؤيده روح القدس.

٨٧- عدم الطعن واللمز بمن يدعو إلى الكتاب والسنة وتعليم الناس الدين في الحرب ضد اليهود، وعدم الدخول في النيات والاتهامات وإلزام الناس بما ليس بلازم.

٨٨- التحزب الأساسي هو: التحزب للكتاب والسنة، والنهي عن التحزب البدعي.

٨٩- إخلاص النية في محاربة اليهود، وأن الدفاع لإعلاء كلمة الله وليس القتال من أجل الجاهلية والعصبية والحزبية والوطنية وغيرها.

٩٠- الرجوع إلى الكتاب والسنة وتجميع الناس إليهما؛

لأن الاجتماع رحمة، والفرقة عذاب.

٩١- التفرق والتحزب والبدع أساس الضعف وعدم النصر.

٩٢- معرفة قاعدة: (إن تنصروا الله ينصركم).

٩٣- معرفة قاعدة: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

٩٤- معرفة القاعدة النبوية: أننا سنهزم اليهود، والإيمان الغيبي بذلك، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله.

٩٥- الرد على من لم يكفر اليهود بحجة أنهم أهل الكتاب.

٩٦- بيان أنواع أهل الكفر، وأنهم أهل حرب وأهل ذمة.

٩٧- بيان أن محاربة الكافر الحربي لا يعني: محاربة الكافر الذمي الآخر في بلد آخر.

٩٨- استشعار قاعدة: (النصر مع الصبر)، مع تحقيق أسباب النصر.

٩٩- فهم قاعدة: (من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب

بحرمانه).

١٠٠- عدم التقليل من شأن مجاهدة النفس ومحاربة الشبهات والشهوات، والثبات بالدعاء، والدعوة للتوحيد للكتاب والسنة قبل وأثناء وبعد كل حادثة، وعدم الملل من ذلك، واحتساب الأجر في ذلك.

كُفر اليهود وضلالهم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ٨٧): "وَالْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: أَمَّا كَوْنُ الْيَهُودِ: ظَالِمِينَ كَافِرِينَ مُعْتَدِينَ، مُسْتَحِقِّينَ لِعَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ؛ فَهَذَا مَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ مُحَمَّدٍ، مَنْقُولٌ بِالتَّوَاتُرِ، كَمَا عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ وَالنَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ عَنْهُ ﷺ أَنَّ النَّصَارَى -أَيْضًا-: ظَالِمُونَ مُعْتَدُونَ كَافِرُونَ، مُسْتَحِقُّونَ لِعَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ.

وَفِي الْيَهُودِ مِنَ الْكُفْرِ مَا لَيْسَ فِي النَّصَارَى، وَفِي النَّصَارَى مَا لَيْسَ فِي الْيَهُودِ، فَإِنَّ الْيَهُودَ بَدَّلُوا شَرِيعَةَ التَّوْرَاةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ كَفَرُوا بِهِ، وَكَذَّبُوهُ فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ كَذَّبُوهُ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ؛ كَمَا قَالَ -تَعَالَى- عَنْهُمْ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ

وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا
خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا
بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ
ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى
ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا
تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ
﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ
﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن
قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ
كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن
فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ

ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ
ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن
كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ
ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ
﴿٩٢﴾ ﴾[البقرة:٨٥-٩٢].

فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ:

أَوَّلًا: بِتَكْذِيبِ الْمَسِيحِ.

وَثَانِيًا: بِتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ
مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ
ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾[آل
عمران:١١٢].

وَقَالَ - تعَالَى -: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ
وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن
مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾
[المائدة:٧٩].

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ
مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ
ٱلطَّٰغُوتَ﴾[المائدة: ٦٠].

فتَبَيَّنَ أَنَّ الْيَهُودَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَأَنَّهُمْ عَبَدُوا الطَّاغُوتَ،
وَأَنَّهُ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ
كَثِيرٌ". اهـ

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (١/
٤٦١): "﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ

قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾[البقرة:١٤٥].

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ كُفرِ الْيَهُودِ وَعِنَادِهِمْ، وَمُخَالَفَتِهِمْ مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّهُ لَوْ أَقَامَ عَلَيْهِمْ كُلَّ دَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ لَمَا اتَّبَعُوهُ وَتَرَكُوا أَهْوَاءَهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧﴾[يونس:٩٦-٩٧]". اهـ

وقال رحمه الله في (٣/ ١٦٦): "فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة:٨٢]؛ مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ كُفْرِ الْيَهُودِ عِنَادٌ وَجُحُودٌ وَمُبَاهَتَةٌ لِلْحَقِّ، وغَمْط لِلنَّاسِ وتَنَقص بِحَمَلَةِ الْعِلْمِ.

وَلِهَذَا قَتَلُوا كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ حَتَّى هَمُّوا بِقَتْلِ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَسَحَرُوهُ، وأَلَّبوا عَلَيْهِ أَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ-.

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ بْنُ مَرْدُويَه عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ:... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا خَلَا يَهُودِيٌّ قَطُّ بِمُسْلِمٍ إِلَّا هَمَّ بِقَتْلِهِ»[حديث ضعيف]". اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «هِدَايَةِ الْحَيَارَى فِي أَجْوِبَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى» (١/ ٢٢٧): "(الْيَهُودُ): فَالْأُمَّةُ الْغَضَبِيَّةُ هُمْ: الْيَهُودُ، أَهْلُ الْكَذِبِ وَالْبَهْتِ وَالْغَدْرِ وَالْمَكْرِ وَالْحِيَلِ، قَتَلَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَكَلَةُ السُّحْتِ وَالرِّبَا وَالرِّشَا.

أَخْبَثُ الْأُمَمِ طَوِيَّةً، وَأَرْدَاهُمْ سَجِيَّةً، وَأَبْعَدُهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ النِّقْمَةِ، عَادَتُهُمُ الْبَغْضَاءُ، وَدِينُهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالشَّحْنَاءُ، بَيْتُ السِّحْرِ وَالْكَذِبِ وَالْحِيَلِ.

لَا يَرَوْنَ لِمَنْ خَالَفَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ -وَلَوْ نَبِيًّا- حُرْمَةً، وَلَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً، وَلَا لِمَنْ وَافَقَهُمْ

عِنْدَهُمْ حَقٌّ وَلَا شَفَقَةٌ، وَلَا لِمَنْ شَارَكَهُمْ عِنْدَهُمْ عَدْلٌ وَلَا نَصَفَةٌ، وَلَا لِمَنْ خَالَطَهُمْ طُمَأْنِينَةٌ وَلَا أَمْنَةٌ، وَلَا لِمَنِ اسْتَعْمَلَهُمْ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ، بَلْ أَخْبَثُهُمْ أَعْقَلُهُمْ وَأَصْدَقُهُمْ أَغَشُّهُمْ، وَسَلِيمُ النَّاحِيَةِ -وَحَاشَا أَنْ يُوجَدَ فِيهِمْ وَبَيْنَهُمْ- لَيْسَ بِيَهُودِيٍّ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

أَضْيَقُ الْخَلْقِ صُدُورًا، وَأَظْلَمُهُمْ بُيُوتًا، وَأَنْتَنُهُمْ أَفْنِيَةً، وَأَوْحَشُهُمْ سِحْنَةً.

تَحِيَّتُهُمْ: لَعْنَةٌ، وَلِقَاؤُهُمْ: طِيَرَةٌ، شِعَارُهُمْ: الْغَضَبُ، وَدِثَارُهُمْ: الْمَقْتُ". اهـ

وقال في (١/ ٢٥١): "وَأَمَّا خَلَفُهُمْ؛ فَهُمْ قَتَلَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الْيَهُودُ؛ قَتَلُوا زَكَرِيَّا وَابْنَهُ يَحْيَى، وَخَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، حَتَّى قَتَلُوا فِي يَوْمٍ سَبْعِينَ نَبِيًّا، وَأَقَامُوا السُّوقَ فِي آخِرِ النَّهَارِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا.

وَاجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ الْمَسِيحِ وَصَلْبِهِ، فَصَانَهُ اللَّهُ

-تعالَى- وَأَكْرَمَهُ أَنْ يُهِينَهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَأَلْقَى شَبَهَهُ عَلَى غَيْرِهِ فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ.

وَرامُوا قَتْلَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ مِرَارًا عَدِيدَةً، وَاللَّهُ يَعْصِمُهُ مِنْهُمْ.

وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُمْ؛ لَا يَكْثُرُ عَلَيْهِمُ اخْتِيَارُ الْكُفْرِ عَلَى الْإِيمَانِ لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي ذَكَرْنَا بَعْضَهَا، أَوْ سَبَبَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا اتِّفَاقَ أُمَّةِ الضَّلَالِ وَعُبَّادِ الصَّلِيبِ عَلَى مَسَبَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَقْبَحَ مَسَبَّةٍ، وَعَلَى مَا يُعْلَمُ بُطْلَانُهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، لَمْ يَكْثُرْ عَلَى تِلْكَ الْعُقُولِ السَّخِيفَةِ: أَنْ تَسُبَّ بَشَرًا أَرْسَلَهُ اللَّهُ -تَعَالَى-، وَتَجْحَدَ نُبُوَّتَهُ، وَتُكَابِرَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ صَرِيحُ الْعَقْلِ مِنْ صِدْقِهِ وَصِحَّةِ رِسَالَتِهِ، فَلَوْ قَالُوا فِيهِ مَا قَالُوا لَمْ يَبْلُغْ بَعْضَ قَوْلِهِمْ فِي رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ الَّذِي صَارُوا فِيهِ ضِحْكَةً بَيْنَ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ". اهـ

غضبُ اللَّه على بني إسرائيل في (التوراة)

جاء في (التوراة / العهد القديم / سفر التثنية):

"لعنات العصيان:

وَلَكِنْ إِنْ عَصَيْتُمْ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِكُمْ، وَلَمْ تَحْرِصُوا عَلَى الْعَمَلِ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضِهِ؛ الَّتِي أَنَا آمُرُكُمُ الْيَوْمَ بِها؛ فَإِنَّ جَمِيعَ هَذِهِ اللَّعْنَاتِ تَحِلُّ بِكُمْ وَتُلازِمُكُمْ، تَكُونُونَ مَلْعُونِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَمَلْعُونِينَ فِي الْحُقُولِ، وَتَكُونُ سِلالُكُمْ وَمَعَاجِنُكُمْ مَلْعُونَةً، وَتَحِلُّ اللَّعْنَةُ بِأَبْنَائِكُمْ وَغَلّاتِ أَرْضِكُمْ وَنِتَاجِ بَقَرِكُمْ وَنِعَاجِكُمْ، وَتَكُونُونَ مَلْعُونِينَ فِي ذِهَابِكُمْ وَإِيَابِكُمْ، وَيَصُبُّ الرَّبُّ عَلَيْكُمُ اللَّعْنَةَ وَالْفَوْضَى وَالْفَشَلَ فِي كُلِّ مَا تُنْتِجُهُ أَيْدِيكُمْ؛ حَتَّى تَهْلِكُوا وَتَفْنَوْا سَرِيعًا؛ لِسُوءِ أَفْعَالِكُمْ، إِذْ تَرَكْتُمُونِي". اهـ

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح» (٣/ ٨٤): "وَقَالَ -أَيْضًا- عَلَى لِسَانِ أَشْعِيَا -النَّبِيِّ عليه السلام-: "يَقُولُ اللَّهُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: لَمْ يَسْمَعُوا وَصَايَايَ، لَمْ يَحْفَظُوا كُلَّ مَا أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ، بَلْ غَيَّرُوا وَنَقَضُوا الْمِيثَاقَ الَّذِي كُنْتُ جَعَلْتُهُ لَهُمْ إِلَى الْأَبَدِ، فَلِذَلِكَ أَجْلَسْتُهُمْ عَلَيْهِمُ الْحُزْنُ، وَأَهْلَكْتُهُمْ وَانْقَطَعَ مِمَّنْ يَبْقَى مِنْهُمُ الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ.

هَكَذَا قَالَ اللَّهُ عَلَى سُكَّانِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: سَأُبَدِّدُهُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ يَرْفَعُونَ الْأُمَمُ أَصْوَاتَهُمْ وَيُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَيُمَجِّدُونَهُ بِأَصْوَاتٍ عَالِيَةٍ، وَيَجْتَمِعُونَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَمِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، وَمِنَ الْبُلْدَانِ الْبَعِيدَةِ، وَيُقَدِّسُونَ اسْمَ اللَّهِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ -إِلَهِ إِسْرَائِيلَ-، وَيَكُونُونَ شُعْبَةً، وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَيَكُونُونَ مُبَدَّدِينَ فِي الْأَرْضِ".

وَقَالَ أَشْعِيَا -النَّبِيُّ عليه السلام-: "يَقُولُ اللَّهُ: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ!

نَجَّسْتُمْ جَبَلِي الْمُقَدَّسَ، فَإِنِّي سَأُفْنِيكُمْ بِالْحَرْبِ وَتَمُوتُونَ، وَذَلِكَ لِأَنِّي دَعَوْتُكُمْ فَلَمْ تُجِيبُوا، وَكَلَّمْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَعَمِلْتُمُ الشَّيْءَ بَيْنَ يَدَيَّ)".

وَقَالَ أَشْعِيَا -أَيْضًا-: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَغَضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ بُيُوتِهِمْ وَمِنْ بَيْتِهِ وَلَا يَغْفِرُ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَعْنَةٌ، وَجُعِلُوا لَعْنَةَ النَّاسِ؛ فَلِذَلِكَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، وَبَدَّدَهُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَلَا يَعُودُ يَرْحَمُهُمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِرَحْمَةٍ إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ، وَلَا يُقَرِّبُونَ لِلَّهِ قُرْبَانًا وَلَا ذَبِيحَةً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَذَلِكَ الزَّمَانِ، وَلَا يَفْرَحُ بَنُو إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا عَنِ اللَّهِ ﷻ".

وَقَالَ أَرْمِيَا -النَّبِيُّ عليه السلام-: "كَمَا أَنَّ الْحَبَشِيَّ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ أَبْيَضًا؛ فَكَذَلِكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَا يَتْرُكُونَ عَادَتَهُمُ الْخَبِيثَةَ، وَلِذَلِكَ إِنِّي لَا أَرْحَمُ، وَلَا أُشْفِقُ، وَلَا أَرِقُّ عَلَى الْأُمَّةِ الْخَبِيثَةِ وَلَا أَرْثِي لَهَا".

وَقَالَ حِزْقِيلُ النَّبِيُّ ﵇: "قَالَ اللَّهُ: (إِنَّمَا رَفَعْتُ يَدِي عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَدَّدْتُهُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِوَصَايَايَ، وَلَمْ يُطِيعُوا أَمْرِي، وَخَالَفُونِي فِيهَا فِيمَا قُلْتُ لَهُمْ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِي)".

وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ فِي (التَّوْرَاةِ)، وَكُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ، وَ(زَبُورِ دَاوُدَ) شَيْءٌ كَثِيرٌ، يُقِرُّونَهَا الْيَهُودُ فِي كَنَائِسِهِمْ، وَيَقْرَأُونَهَا وَلَا يُنْكِرُونَ مِنْهَا حَرْفًا وَاحِدًا، وَمِثْلُ مَا هُوَ عِنْدَهُمْ، وَكَذَلِكَ عِنْدَنَا فِي جَمِيعِ الْأَلْسُنِ". اهـ

جُبن اليهود وخوفهم

قال الله ﷻ: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤﴾ [الحشر:١٣-١٤].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٧٤):

"ثُمَّ قَالَ: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭ﴾[الحشر:١٤]، يَعْنِي: أَنَّهُمْ مِنْ جُبنهم وهَلَعهم لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مُوَاجَهَةِ جَيْشِ الْإِسْلَامِ بِالْمُبَارَزَةِ وَالْمُقَابَلَةِ، بَلْ إِمَّا فِي حُصُونٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ مُحَاصَرِينَ، فَيُقَاتِلُونَ لِلدَّفْعِ عَنْهُم ضَرُورَةً". اهـ

قال الإمام البغوي رحمه الله في «معالم التنزيل» (٦/ ٩٤٤):

"﴿لَأَنتُمْ﴾[الحشر:١٣]، يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾[الحشر:١٣]، أَيْ: يَرْهَبُونَكُمْ أَشَدَّ مِنْ رَهْبَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ، ﴿ذَٰلِكَ﴾[الحشر:١٤]، أَيْ: ذَلِكَ الْخَوْفُ مِنْكُمْ، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾[الحشر: ١٤]، عَظَمَةَ اللَّهِ.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾[الحشر:١٤]، يَعْنِي: الْيَهُودَ، ﴿جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾[الحشر:١٤]، أَيْ: لَا يَبْرُزُونَ لِقِتَالِكُمْ؛ إِنَّمَا يُقَاتِلُونَكُمْ مُتَحَصِّنِينَ بِالْقُرَى وَالْجُدْرَانِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾[الحشر:١٤]، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو ﴿جِدَارٍ﴾ عَلَى الْوَاحِدِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿جُدُرٍ﴾ بِضَمِّ الْجِيمِ وَالدَّالِ عَلَى الْجَمْعِ.

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾[الحشر:١٤]، أَيْ: بَعْضُهُمْ فَظٌّ

عَلَى بَعْضٍ، وَعَدَاوَةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا شَدِيدَةٌ.

وَقِيلَ: بَأْسُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْحِيطَانِ وَالْحُصُونِ شَدِيدٌ، فَإِذَا خَرَجُوا لَكُمْ فَهُمْ أَجْبَنُ خَلْقِ اللَّهِ، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[الحشر:١٤]، مُتَفَرِّقَةٌ مُخْتَلِفَةٌ.

قَالَ قَتَادَةُ: أَهْلُ الْبَاطِلِ مُخْتَلِفَةٌ أَهْوَاؤُهُمْ، مُخْتَلِفَةٌ شَهَادَتُهُمْ، مُخْتَلِفَةٌ أَعْمَالُهُمْ، وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي عَدَاوَةِ أَهْلِ الْحَقِّ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَرَادَ: أَنَّ دِينَ الْمُنَافِقِينَ يُخَالِفُ دِينَ الْيَهُودِ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ١٤﴾[الحشر:١٤].

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[الحشر:١٥]، يَعْنِي: مَثَلُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.

﴿قَرِيبًا﴾[الحشر: ١٥]، يَعْنِي: مُشْرِكِي مَكَّةَ.

﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾[الحشر: ١٥]، يعني: القتل ببدر، كان ذَلِكَ قَبْلَ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ.

قال مُجاهِدٌ: وَقَالَ ابْـنُ عَبَّـاسٍ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الحشر:١٥]، يَعْنِي: بَنِي قَيْنُقَاعَ.

وَقِيلَ: مَثَلُ قُرَيْظَةَ كَمَثَلِ بَنِي النَّضِيرِ وَكَانَ بَيْنَهُمَا سَنَتَانِ.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥﴾ [الحشر:١٥].

ثُـمَّ ضَـرَبَ مَـثَلًا لِلْمُنَـافِقِينَ وَالْيَهُـودِ جَمِيعًـا فِـي تخادعهم". اهـ

إطفاء الله حروبهم على الإسلام

قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾[المائدة: ٦٤].

قال الإمام البغوي ﵀ في «معالم التنزيل» (١/ ٢٣٩):

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤]، أَيْ: كُلَّمَا نَزَلَتْ آيَةٌ كَفَرُوا بِهَا؛ فَازْدَادُوا طُغْيَانًا وَكُفْرًا، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾[المائدة: ٦٤]، يَعْنِي: بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، قَالَهُ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ.

وَقِيلَ: بَيْنَ طَوَائِفِ الْيَهُودِ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ مُخْتَلِفِينَ فِي دِينِهِمْ

مُتبَاغِضِينَ، ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[المائدة:٦٤]، يَعْنِي: الْيَهُودَ أَفْسَدُوا وَخَالَفُوا حُكْمَ التَّوْرَاةِ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُخْتُنَصَّرَ، ثُمَّ أَفْسَدُوا فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْطُوسَ الرُّومِيَّ، ثُمَّ أَفْسَدُوا فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَجُوسَ، ثُمَّ أَفْسَدُوا فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمِينَ.

وَقِيلَ: كُلَّمَا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ لِيُفْسِدُوا أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَوْقَدُوا نَارَ الْمُحَارَبَةِ؛ أَطْفَأَهَا اللَّهُ، فَرَدَّهُمْ وَقَهَرَهُمْ وَنَصَرَ نَبِيَّهُ وَدِينَهُ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْحَسَنِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: هَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ حَرْبٍ طَلَبَتْهُ الْيَهُودُ، فَلَا تَلْقَى الْيَهُودَ فِي بَلَدٍ إِلَّا وَجَدْتَهُمْ مِنْ أَذَلِّ النَّاسِ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ". اهـ

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ١٤٧):

"وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾

[المائدة:٦٤]، يَعْنِي: أَنَّهُ لَا تَجْتَمِعُ قُلُوبُهُمْ، بَلِ الْعَدَاوَةُ وَاقِعَةٌ بَيْنَ فِرقهم بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ دَائِمًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى حَقٍّ، وَقَدْ خَالَفُوكَ وَكَذَّبُوكَ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة:٦٤]، قَالَ: الْخُصُومَاتُ وَالْجِدَالُ فِي الدِّينِ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٦٤]، أَيْ: كُلَّمَا عَقَدُوا أَسْبَابًا يَكِيدُونَكَ بِهَا، وَكُلَّمَا أَبْرَمُوا أُمُورًا يُحَارِبُونَكَ بِهَا؛ يُبْطِلُهَا اللَّهُ، وَيَرُدُّ كَيْدَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَحِيقُ مَكْرُهُمُ السَّيِّئُ بِهِمْ.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة:٦٤]، أَيْ: مِنْ سَجِيَّتِهِمْ: أَنَّهُمْ دَائِمًا يسعون فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ". اهـ

افتراق اليهود

قال الله ﷻ: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾[الحشر: ١٤].

وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[آل عمران:١٠٥].

وقـــال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾[البينة: ٤].

ثبت في الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»، قيل: من هي يا

رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»، وفي بعض الروايات: «هي الجماعة»[حسنه المحدث الألباني رحمه الله في «سنن الترمذي» (٢٦٤١)، وغيره].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٧٤):

"ثُمَّ قَالَ: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾[الحشر:١٤]، أَيْ: عَدَاوَتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ شَدِيدَةٌ، كَمَا قَالَ: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الأنعام:٦٥]؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[الحشر:١٤]، أَيْ: تَرَاهُمْ مُجْتَمِعِينَ فَتَحْسَبُهُمْ مُؤْتَلِفِينَ، وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ غَايَةَ الِاخْتِلَافِ.

قَالَ: إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: يَعْنِي: أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ١٤﴾[الحشر:١٤]". اهـ

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٤٥٧):

"وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ

ﭐلۡبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾[البينة:٤]؛ كقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾[آل عمران:١٠٥]، يَعْنِي بِذَلِكَ: أَهْلَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَنَا، بَعْدَ مَا أَقَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ وَالْبَيِّنَاتِ؛ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا فِي الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَاخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طُرُقٍ: «أَنَّ الْيَهُودَ اخْتَلَفُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَأَنَّ النَّصَارَى اخْتَلَفُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً».

قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»". اهـ

نقض اليهود المواثيق،

وقتلهم الأنبياء؛ ومنه: الهمُّ بقتل النبي ﷺ

قال الله ﷻ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[البقرة:١٠٠].

وقال ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾[النساء:١٥٥].

أخرج الإمام مسلم رحمه الله في «صحيحه» رقم (٢١٩٠) عن أَنَسٍ: أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ: «مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ» قَالَ -أَوْ قَالَ-: «عَلَيَّ».

قَالَ قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: «لَا».

قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قال الإمام السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٤٦): "وهذا فيه: التعجب من كثرة معاهداتهم، وعدم صبرهم على الوفاء بها.

فـ ﴿كُلَّمَا﴾[البقرة:١٠٠]: تفيد التكرار، فكلما وجد العهد ترتب عليه النقض، ما السبب في ذلك؟

السبب: أن أكثرهم لا يؤمنون، فعدم إيمانهم هو الذي أوجب لهم نقض العهود، ولو صدق إيمانهم، لكانوا مثل من قال الله فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب:٢٣]". اهـ

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٤٧): "وَهَذِهِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا، مِمَّا أَوْجَبَ

لَعْنَتَهُمْ وَطَرْدَهُمْ وَإِبْعَادَهُمْ عَنِ الْهُدَى، وَهُوَ: نَقْضُهُمُ الْمَوَاثِيقَ وَالْعُهُودَ الَّتِي أُخِذَتْ عَلَيْهِمْ، وَكُفْرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، أَيْ: حُجَجِهِ وَبَرَاهِينِهِ، وَالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي شَاهَدُوهَا عَلَى أَيْدِي الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام.

قَوْلُهُ: ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[النساء:١٥٥]، وَذَلِكَ: لِكَثْرَةِ إِجْرَامِهِمْ وَاجْتِرَائِهِمْ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ قَتَلُوا جَمًّا غَفِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ عليهم السلام".اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (٢/ ٥٩١) :"وَأَمَّا نَقْضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَتَبْدِيلُهُمْ أَحْكَامَ التَّوْرَاةِ، وَتَحْرِيفُهُمُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَأَكْلُهُمُ الرِّبَا؛ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ، وَأَكْلُهُمُ الرِّشَا، وَاعْتِدَاؤُهُمْ فِي السَّبْتِ؛ حَتَّى مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَتَكْذِيبُهُمْ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ -رَسُولَ اللَّهِ-، وَرَمْيُهُمْ لَهُ وَلِأُمِّهِ بِالْعَظَائِمِ، وَحِرْصُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، وَتَفَرُّدُهُمْ دُونَ الْأُمَمِ

بِالْخُبْثِ وَالْبَهْتِ، وَشِدَّةُ مُكَالَبَتِهِمْ عَلَى الدُّنْيَا وَحِرْصِهِمْ عَلَيْهَا، وَقَسْوَةُ قُلُوبِهِمْ وَحَسَدُهُمْ، وَكَثْرَةُ سِحْرِهِمْ؛ فَإِلَيْهِ النِّهَايَةُ.

وَهَذَا وَأَضْعَافُهُ مِنَ الْجَهْلِ وَفَسَادِ الْعَقْلِ قَلِيلٌ عَلَى مَنْ كَذَّبَ رُسُلَ اللَّهِ، وَبَاءَ بِمُعَادَاتِهِ وَمُعَادَاةِ مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَأَهْلِ وِلَايَتِهِ". اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٣/ ٣٩٧):

"[قِصَّةُ سَمِّ يَهُودِيَّةٍ النَّبِيَّ ﷺ]

فَصْلٌ

وَفِي هَذِهِ الْغَزَاةِ: سُمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَهْدَتْ لَهُ زينب بنت الحارث الْيَهُودِيَّةُ -امْرَأَةُ سلام بن مشكم- شَاةً مَشْوِيَّةً قَدْ سَمَّتْهَا، وَسَأَلَتْ: أَيُّ اللَّحْمِ أَحَبُّ إِلَيْهِ؟ فَقَالُوا: الذِّرَاعُ، فَأَكْثَرَتْ مِنَ السُّمِّ فِي الذِّرَاعِ، فَلَمَّا انْتَهَشَ مِنْ ذِرَاعِهَا أَخْبَرَهُ الذِّرَاعُ بِأَنَّهُ مَسْمُومٌ، فَلَفَظَ الْأُكْلَةَ.

ثُمَّ قَالَ: «اجْمَعُوا لِي مَنْ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ»، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ فِيهِ؟»، قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟»، قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ، قَالَ: «كَذَبْتُمْ! أَبُوكُمْ فُلَانٌ»، قَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ.

قَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟»، فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْسَئُوا فِيهَا! فَوَاللَّهِ! لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا».

ثُمَّ قَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «أَجَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ.

وَجِـيءَ بِـالْمَرْأَةِ إِلَـى رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ، فَقَالَـتْ: أَرَدْتُ قَتْلَكَ، فَقَالَ: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَيَّ»، قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: «لَا»، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا وَلَمْ يُعَاقِبْهَا.

وَاحْتَجَمَ عَلَى الْكَاهِلِ، وَأَمَـرَ مَـنْ أَكَـلَ مِنْهَـا فَـاحْتَجَمَ، فَمَاتَ بَعْضُهُمْ، وَاخْتُلِـفَ فِـي قَتْـلِ الْمَـرْأَةِ، فَقَـالَ الزُّهْـرِيُّ: أَسْلَمَتْ فَتَرَكَهَا، ذَكَرَهُ عبد الرزاق عَنْ معمر عَنْـهُ، ثُـمَّ قَـالَ معمر: وَالنَّاسُ تَقُولُ: قَتَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ". اهـ

عداوة اليهود للمسلمين

قال ﷻ: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾[المائدة:٨٢].

قال الإمام السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص ٢٤١): "يقول تعالى في بيان أقرب الطائفتين إلى المسلمين، وإلى ولايتهم ومحبتهم، وأبعدهم من ذلك: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾[المائدة:٨٢]، فهؤلاء الطائفتان على الإطلاق أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين، وأكثرهم سعيًا في إيصال الضرر إليهم، وذلك لشدة بغضهم لهم، بغيًا وحسدًا وعنادًا وكفرًا.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ﴾[المائدة:٨٢]، وذكر تعالى لذلك عدة أسباب:

منها: أن ﴿مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا﴾[المائدة:٨٢]، أي: علماء متزهدين، وعُبَّادًا في الصوامع متعبدين.

والعلم مع الزهد وكذلك العبادة مما يلطف القلب ويرققه، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة، فلذلك لا يوجد فيهم غلظة اليهود، وشدة المشركين.

ومنها: ﴿وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢﴾[المائدة:٨٢]، أي: ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق، وذلك موجب لقربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر". ا هـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ١٠٩) :"فَهُوَ كَمَا أَخْبَرَ سبحانه وتعالى؛ فَإِنَّ

عَـدَاوَةَ الْمُـشْرِكِينَ وَالْيَهُـودِ لِلْمُـؤْمِنِينَ أَشَـدُّ مِـنْ عَـدَاوَةِ النَّصَارَى، وَالنَّصارَى أَقْرَبُ مَودَّةً لَهُمْ.

وَهَذَا مَعْرُوفٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْيَهُودِ؛ فَـإِنَّ الْيَهُـودَ فِـيهِمْ مِـنَ الْبُغْضِ وَالْحَسَدِ وَالْعَدَاوَةِ مَا لَيْسَ فِي النَّصَارَى.

وَفِي النَّصَارَى مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْمَودَّةِ مَا لَيْسَ فِي الْيَهُودِ.

وَالْعَـدَاوَةُ أَصْـلُهَا: الْـبُغْضُ، فَـالْيَهُودُ كَـانُوا يُبْغِـضُونَ أَنْبِيَاءَهُمْ، فَكَيْفَ بِبُغْضِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ؟!

وَأَمَّا النَّصَارَى؛ فَلَيْسَ فِي الدِّينِ الَّذِي يَـدِينُونَ بِـهِ عَـدَاوَةٌ وَلَا بُغْضٌ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ حَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ فَـسَادًا، فَكَيْـفَ بِعَـدَاوَتِهِمْ وَبُغْـضِهِمْ لِلْمُـؤْمِنِينَ الْمُعْتَـدِلِينَ أَهْـلِ مِلَّـةِ إِبْـرَاهِيمَ، الْمُـؤْمِنِينَ بِجَمِيـعِ الْكُتُـبِ وَالرُّسُلِ؟!

وَلَيْسَ فِي هَذَا مَدْحٌ لِلنَّـصَارَى بِـالْإِيمَانِ بِاللَّـهِ، وَلَا وَعْـدٌ لَهُمْ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ، وَاسْتِحْقَاقِ الثَّوَابِ وَإِنَّمَا فِيـهِ أَنَّهُـمْ

أَقْرَبُ مَوَدَّةً، وَقَوْلُهُ -تعَالَى-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢﴾ [المائدة:٨٢]". اهـ

نصرة المسلمين على اليهود

قال الله ﷻ: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾[آل عمران:١١١].

وقال ﷻ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[النساء:١٤١].

قال الإمام البغوي رحمه الله في «معالم التنزيل» (٢/ ٩٢):

"قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾[آل عمران: ١١١]، قال مقاتل: إن رؤوس اليهود عمدُوا إلى مَنْ آمن -منهم: عبد الله بن سلام وأصحابه-؛ فآذوهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾، يعني: لا يضروكم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذىً باللسان: وعيدًا وطعنًا، وقيل: كلمة كفر تتأذون بها.

﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ منهزمين، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾[آل عمران:١١١]، بل يكون لكم النصر عليهم". اهـ

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٨٩):

"ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ومُبَشِّرًا لَهُمْ: أَنَّ النَّصْرَ والظَّفر لَهُمْ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الْكَفَرَةِ الْمُلْحِدِينَ؛ فَقَالَ: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾[آل عمران:١١١]، وَهَكَذَا وَقَعَ، فَإِنَّهُمْ يَوْمَ خَيْبَرَ أَذَلَّهُمُ اللَّهُ وأرْغم آنافَهُمْ.

وَكَذَلِكَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ بَنِي قَيْنُقَاع وَبَنِي النَّضِير وَبَنِي قُرَيْظَة؛ كُلُّهُمْ أَذَلَّهُمُ اللَّهُ.

وَكَذَلِكَ النَّصَارَى بِالشَّامِ؛ كَسَرهم الصَّحَابَةُ فِي غَيْرِ مَا مَوْطِنٍ، وسَلَبوهم مُلْك الشَّامِ أَبَدَ الْآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ.

وَلَا تَزَالُ عِصَابَة الإسلام قائمة بالشام حتى ينـزل عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام وَهُمْ كَذَلِكَ، وَيحْكُمَ عليه السلام بِشَرْعِ مُحَمَّـدٍ -عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-؛ فيَكْسر الصَّلِيب، وَيقْتُلَ الْخِنْزِيـر، ويَضَع الجزْية، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ". ا هـ.

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٨٦):

"وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾[النساء:١٤١]، أَيْ: فِي الدُّنْيَا، بِأَنْ يُسَلَّطُوا عَلَيْهِمُ اسْتِيلَاءَ اسْتِئْصَالٍ بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِنْ حَصَلَ لَهُمْ ظَفَرٌ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾[غافر:٥١-٥٢].

وَعلَى هَذَا فَيَكُونُ رَدًّا عَلَى الْمُنَافِقِينَ فِيمَا أَمَلُوهُ وَتَرَبَّصُوهُ وَانْتَظَرُوهُ مِنْ زَوَالِ دَوْلَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِيمَا سَلَكُوهُ مِنْ مُصَانَعَتِهِمُ الْكَافِرِينَ، خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْهُمْ إِذَا هُمْ ظَهَرُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَاسْتَأْصَلُوهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ [المائدة:٥٢]". هـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/ ١٧٩-١٨٠): "وَالْمُسْلِمُونَ مَنْصُورُونَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَإِنَّهُمْ آمَنُوا بِجَمِيعِ كُتُبِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَمْ يُكَذِّبُوا بِشَيْءٍ مِنْ كُتُبِهِ، وَلَا كَذَّبُوا أَحَدًا مِنْ رُسُلِهِ، بَلِ اتَّبَعُوا مَا قَالَ اللَّهُ لَهُمْ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ

وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[البقرة:١٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة:٢٨٥].

وَلَمَّا كَانَ الْمُسْلِمُونَ هُمُ الْمُتَّبِعُونَ لِرُسُلِ اللَّهِ كُلِّهِمْ؛ الْمَسِيحِ وَغَيْرِهِ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ وَعَدَ أَنْ يَنْصُرَ الرُّسُلَ وَأَتْبَاعَهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرَةً عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

وَقَالَ -أَيْضًا-: «سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِي عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَجْتَاحَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا» الْحَدِيثَ.

فَكَانَ مَا احْتَجُّوا بِهِ حُجَّةً عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ". اهـ

الكذب والنفاق عند الرافضة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٤٧٦): "وَفِي الْجُمْلَةِ: فَمَنْ جَرَّبَ الرَّافِضَةَ فِي كِتَابِهِمْ وَخِطَابِهِمْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مِنْ أَكْذَبِ خَلْقِ اللَّهِ، فَكَيْفَ يَثِقُ الْقَلْبُ بِنَقْلِ مَنْ كَثُرَ مِنْهُمُ الْكَذِبُ قَبْلَ أَنْ يَعرِفَ صِدْقَ النَّاقِلِ؟

وَقَدْ تَعَدَّى شَرُّهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ؛ حَتَّى كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَتَوَقَّوْنَ أَحَادِيثَهُمْ، وَكَانَ مَالِكٌ يَقُولُ: نَزِّلُوا أَحَادِيثَ أَهْلِ الْعِرَاقِ مَنْزِلَةَ أَحَادِيثِ أَهْلِ الْكِتَابِ: لَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ.

وَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَهْدِيٍّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! سَمِعْنَا فِي بَلَدِكُمْ أَرْبَعَمِائَةَ حَدِيثٍ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَنَحْنُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ نَسْمَعُ هَذَا كُلَّهُ!

فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ! وَمِنْ أَيْنَ لَنَا دَارُ الضَّرْبِ؟ أَنْتُم

عِنْدَكُمْ دَارُ الضَّرْبِ تَضْرِبُونَ بِاللَّيْلِ وَتُنْفِقُونَ بِالنَّهَارِ.

وَهَذَا مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي الْكُوفَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الثِّقَاتِ الْأَكَابِرِ كَثِيرٌ، لَكِنْ لِكَثْرَةِ الْكَذِبِ الَّذِي كَانَ أَكْثَرُهُ فِي الشِّيعَةِ صَارَ الْأَمْرُ يَشْتَبِهُ عَلَى مَنْ لَا يَمِيزُ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ إِذَا دَخَلَ بَلَدًا نِصْفُ أَهْلِهِ كَذَّابُونَ خَوَّانُونَ؛ فَإِنَّهُ يَحْتَرِسُ مِنْهُمْ حَتَّى يَعْرِفَ الصَّدُوقَ الثِّقَةَ، وَبِمَنْزِلَةِ الدَّرَاهِمِ الَّتِي كَثُرَ فِيهَا الْغِشُّ؛ فَإِنَّهُ يَحْتَرِسُ عَنِ الْمُعَامَلَةِ بِهَا مَنْ لَا يَكُونُ نَقَّادًا، وَلِهَذَا كُرِهَ لِمَنْ لَا يَكُونُ لَهُ نَقْدٌ وَتَمْيِيزٌ النَّظَرُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا الْكَذِبُ فِي الرِّوَايَةِ وَالضَّلَالِ فِي الْآرَاءِ؛ كَكُتُبِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَكُرِهَ تَلَقِّي الْعِلْمِ مِنَ الْقُصَّاصِ وَأَمْثَالِهِمُ الَّذِينَ يَكْثُرُ الْكَذِبُ فِي كَلَامِهِمْ؛ وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ صِدْقًا كَثِيرًا.

فَالرَّافِضَةُ أَكْذَبُ مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ؛ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِأَحْوَالِ الرِّجَالِ". اهـ

وقال رحمه الله في (١/ ٦٨): "وَأَمَّا الرَّافِضَةُ؛ فَأَصْلُ بِدْعَتِهِمْ عَنْ زَنْدَقَةٍ وَإِلْحَادٍ، وَتَعَمُّدُ الْكَذِبِ كَثِيرٌ فِيهِمْ، وَهُمْ يُقِرُّونَ بِذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُونَ: "دِينُنَا التَّقِيَّةُ"، وَهُوَ: أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ بِلِسَانِهِ خِلَافَ مَا فِي قَلْبِهِ، وَهَذَا هُوَ الْكَذِبُ وَالنِّفَاقُ.

وَيَدَّعُونَ مَعَ هَذَا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ، وَيَصِفُونَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ بِالرِّدَّةِ وَالنِّفَاقِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا قِيلَ: رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ، إِذْ لَيْسَ فِي الْمُظْهِرِينَ لِلْإِسْلَامِ أَقْرَبُ إِلَى النِّفَاقِ وَالرِّدَّةِ مِنْهُمْ، وَلَا يُوجَدُ الْمُرْتَدُّونَ وَالْمُنَافِقُونَ فِي طَائِفَةٍ أَكْثَرَ مِمَّا يُوجَدُ فِيهِمْ.

وَاعْتُبِرَ ذَلِكَ بِالْغَالِيَةِ مِنَ النُّصَيْرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَبِالْمَلَاحِدَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَأَمْثَالِهِمْ". اهـ

وقال رحمه الله في (٢/ ٤٦): "وَالنِّفَاقُ وَالزَّنْدَقَةُ فِي الرَّافِضَةِ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي سَائِرِ الطَّوَائِفِ، بَلْ لَا بُدَّ لِكُلٍّ مِنْهُمْ مِنْ شُعْبَةِ نِفَاقٍ، فَإِنَّ أَسَاسَ النِّفَاقِ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ الْكَذِبُ، وَأَنْ يَقُولَ

الرَّجُلُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ؛ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ -تَعَالَى- عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ.

وَالرَّافِضَةُ تَجْعَلُ هَذَا مِنْ أُصُولِ دِينِهَا، وَتُسَمِّيهِ: التَّقِيَّةَ، وَتَحْكِي هَذَا عَنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ بَرَّأَهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ؛ حَتَّى يَحْكُوا عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ أَنَّهُ قَالَ: "التَّقِيَّةُ دِينِي وَدِينُ آبَائِي".

وَقَدْ نَزَّهَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَغَيْرِهِمْ عَنْ ذَلِكَ، بَلْ كَانُوا مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ صِدْقًا وَتَحْقِيقًا لِلْإِيمَانِ، وَكَانَ دِينُهُمُ التَّقْوَى لَا التَّقِيَّةَ". اهـ

وقال رحمه الله في (٦/ ٤٢١): "وَلِهَذَا رَأْسُ مَالِ الرَّافِضَةِ: التَّقِيَّةُ، وَهِيَ: أَنْ يُظْهِرَ خِلَافَ مَا يُبْطِنُ؛ كَمَا يَفْعَلُ الْمُنَافِقُ.

وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالْقِلَّةِ، وَهُمْ يُظْهِرُونَ دِينَهُمْ لَا يَكْتُمُونَهُ.

وَالرَّافِضَةُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[آل عمران:٢٨]، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَسَائِرُ أَهْلِ الْقِبْلَةِ كُفَّارٌ! مَعَ أَنَّ لَهُمْ فِي تَكْفِيرِ الْجُمْهُورِ قَوْلَيْنِ". اهـ

مشابهة الرافضة لليهود

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ﵀ في «رسالة في الرد على الرافضة» (ص ٤٣-٤٦):

"مطلب: مشابهتهم اليهود:

ومن قبائحهم: تشابههم باليهود، ولهم بهم مشابهات منها: أنهم يضاهون اليهود الذين رموا مريم الطاهرة بالفاحشة بقذف زوجة رسول الله ﷺ عائشة المبرأة بالبهتان، وسلبوا بسبب ذلك الإيمان.

ويشابهونهم في قولهم: إن دينا بنت يعقوب خرجت وهي عذراء فافترعها مشرك، بقولهم: إن عمر اغتصب بنت علي ﵁.

وبلبس التيجان؛ فإنها من ألبسة اليهود، وبقص اللحى أو حلقها أو إعفاء الشوارب، هذا دين اليهود وإخوانهم من

الكفر.

ومنها: أن اليهود مسخوا قردة وخنازير، وقد نقل أنه وقع ذلك لبعض الرافضة في المدينة المنورة وغيرها، بل قد قيل: إنهم تمسخ صورهم ووجوههم عند الموت، والله أعلم.

مطلب: تركهم الجمعة والجماعة:

ومنها ترك الجمعة والجماعة، وكذلك اليهود؛ فإنهم لا يصلون إلا فرادى.

ومنها: تركهم قول (آمين) وراء الإمام في الصلاة؛ فإنهم لا يقولون (آمين)، يزعمون أن الصلاة تبطل به!

ومنها: تركهم تحية السلام فيما بينهم، وإذا سلموا فعلوا بعكس السنة.

ومنها: خروجهم من الصلاة بالفعل، وتركهم السلام في الصلاة؛ فإنهم يخرجون من الصلاة من غير سلام، بل يرفعون أيديهم ويضربون بها على ركبهم؛ كأذناب الخيل

الشُّمْس.

ومنها: شدة عدوانهم للمسلمين، وأخبر الله عن اليهـود: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾[المائدة: ٨٢]، وكـذلك هـؤلاء أشـد النـاس عـداوة لأهـل الـسنة والجماعة؛ حتى أنهم يعدونهم أنجاسًا، فقد شابهوا اليهود في ذلك، ومن خالطهم لا ينكر وجود ذلك فيهم.

ومنها: أنهم بجمعهم بـين المـرأة وعمتها وبـين المـرأة وخالتها، يشابهون اليهـود؛ فـإنهم كـانوا يجمعـون في شـرع يعقوب بين الأختين.

ومنها: قولهم: إن من عداهم من الأمة لا يدخلون الجنة، بل يخلدون في النار، وقد قال اليهود والنصارى: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[البقرة:١١١].

ومنها: اتخاذهم الصور الحيوانية؛ كـاليهود والنـصارى، وقد ورد الوعيد الشديد في تـصوير الـصور ذوات الأرواح،

في «البخاري» وغيره: أنه قال رسول الله ﷺ: «لعن الله المصورين»، وأنه قال: «إن المصور يكلف يوم القيامة أن ينفخ الروح فيما صوره، وليس بنافخ، ولا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ذات روح».

ومنها: تخلفهم عن نصر أئمتهم؛ كما خذلوا عليًّا وحسينًا وزيدًا وغيرهم رضي الله عنهم.

قبحهم الله! ما أعظم دعواهم في حب أهل البيت، وأجنبهم عن نصرهم! وقد قال اليهود لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤].

ومنها: أن اليهود مسخوا، وقد روي: إن كان خسف ومسخ ففي المكذبين بالقدر، وهؤلاء مكذبون به، وقد خسف بقرى كثيرة مرات عديدة من بلاد العجم.

ومنها: أن اليهود ضُربت عليهم الذلة والمسكنة أينما كانوا، وكذلك هؤلاء ضربت عليهم الذلة؛ حتى أحيوا

التقية من شدة خوفهم وذلهم.

ومنها: أن اليهود يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون: هـذا من عند الله، وكذلك هؤلاء يكتبون الكذب ويقولـون هـذا من كلام الله -تعالى-، ويفترون الكذب علـى رسـوله ﷺ وأهل بيته رضي الله عنهم". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبويـة» (١/ ٢٢): "وَلِهَذَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْيَهُودِ مِنَ الْمُـشَابَهَةِ فِـي الْخَبَثِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْيَهُودِ.

وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّصَارَى مِنَ الْمُشَابَهَةِ فِي الْغُلُوِّ، وَالْجَهْـلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّصَارَى مَـا أَشْـبَهُوا بِـهِ هَـؤُلَاءِ مِـنْ وَجْـهٍ، وَهَـؤُلَاءِ مِـنْ وَجْـهٍ، وَمَـا زَالَ النَّـاسُ يَـصِفُونَهُمْ بِذَلِكَ". اهـ

وقال رحمه الله: "وَآيَةُ ذَلِكَ: أَنَّ مِحْنَةَ الرَّافِضَةِ مِحْنَةُ الْيَهُودِ: قَالَتِ الْيَهُودُ: لَا يَصْلُحُ الْمُلْـكُ إِلَّا فِـي آلِ دَاوُدَ، وَقَالَـتِ

الرَّافِضَةُ: لَا تَصْلُحُ الْإِمَامَةُ إِلَّا فِي وَلَدِ عَلِيٍّ.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ: لَا جِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَخْرُجَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ، وَيَنْزِلَ سَيْفٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَقَالَتِ الرَّافِضَةُ: لَا جِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَخْرُجَ الْمَهْدِيُّ، وَيُنَادِيَ مُنَادٍ مِن السَّمَاءِ.

وَالْيَهُودُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ إِلَى اشْتِبَاكِ النُّجُومِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ يُؤَخِّرُونَ الْمَغْرِبَ إِلَى اشْتِبَاكِ النُّجُومِ، وَالْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ مَا لَمْ يُؤَخِّرُوا الْمَغْرِبَ إِلَى اشْتِبَاكِ النُّجُومِ».

وَالْيَهُودُ تَزُولُ عَنِ الْقِبْلَةِ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ تَنُودُ فِي الصَّلَاةِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ تُسْدِلُ أَثْوَابَهَا فِي الصَّلَاةِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ لَا يَرَوْنَ عَلَى النِّسَاءِ عِدَّةً، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ حَرَّفُوا التَّوْرَاةَ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ حَرَّفُوا الْقُرْآنَ.

وَالْيَهُودُ قَالُوا: افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا خَمْسِينَ صَلَاةً، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ لَا يُخْلِصُونَ السَّلَامَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنَّمَا يَقُولُونَ: "السَّامُ عَلَيْكُمْ"، وَالسَّامُ الْمَوْتُ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ لَا يَأْكُلُونَ الْجِرِّيَّ، وَالْمَرْمَاهَى، وَالذِّنَابَ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ لَا يَرَوْنَ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ يَسْتَحِلُّونَ أَمْوَالَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُمْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[آل عمران:٧٥]، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ تَسْجُدُ عَلَى قُرُونِهَا فِي الصَّلَاةِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ لَا تَسْجُدُ حَتَّى تَخْفُقَ بِرُءُوسِهَا مِرَارًا شِبْهَ الرُّكُوعِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُـودُ تُـبْغِضُ جِبْرِيـلَ، وَيَقُولُـونَ: هُـوَ عَـدُوُّنَا مِـنَ الْمَلَائِكَةِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ يَقُولُونَ: غَلِطَ جِبْرِيـلُ بِـالْوَحْيِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ وَافَقُوا النَّصَارَى فِي خَصْلَةِ النَّصَارَى: لَيْسَ لِنِسَائِهِمْ صَدَاقٌ، إِنَّمَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِنَّ تَمَتُّعًا، وَكَـذَلِكَ الرَّافِضَةُ يَتَزَوَّجُونَ بِالْمُتْعَةِ، وَيَسْتَحِلُّونَ الْمُتْعَةَ". اهـ

تأسيس عبد اللّه بن سبأ اليهودي لمذهب الرافضة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٣٥): "قيل للإمام أحمد: من الرافضي؟ قال: الذي يسب أبا بكر وعمر.

وبهذا سميت الرافضة؛ فإنهم رفضوا زيد بن علي لما تولى الخليفتين أبا بكر وعمر؛ لبغضهم لهما، فالمبغض لهما هو الرافضي.

وقيل: إنما سموا: رافضة؛ لرفضهم أبا بكر وعمر.

و(أصل الرفض) من المنافقين الزنادقة؛ فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في علي؛ بدعوى الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له". اهـ

وقال في (٢٨/ ٤٨٣): " وقد ذكر أهل العلم: أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق: عبد الله بن سبأ؛ فإنه أظهر

الإسلام وأبطن اليهودية، وطلب أن يفسد الإسلام؛ كما فعل بولص النصراني الذي كان يهوديًّا في إفساد دين النصارى". اهـ

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في «شرح الطحاوية» (ص ٤٩٠): "أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق، قصده: إبطال دين الإسلام، والقدح في الرسول ﷺ؛ كما ذكر ذلك العلماء.

فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه؛ كما فعل بولس بدين النصرانية؛ فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله.

ثم لما قدم علي الكوفة؛ أظهر الغلو في علي والنصر له، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك عليًّا، فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيس، وخبره معروف في التاريخ". اهـ

جاء في «صحيح البخاري» رقم (٦٩٢٢): "عن عكرمة، قال: أتي علي ﵁ بزنادقة؛ فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، لنهي رسول الله ﷺ: «لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ»، ولقتلتهم، لقول رسول الله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»". اهـ

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ﵀ في «فتح الباري» (١٢/ ٢٧٠): "وزعم أبو المظفر الإسفرايني في «الملل والنحل»: أن الذين أحرقهم علي: طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية، وهم: السبائية، وكان كبيرهم: عبد الله بن سبأ يهوديًّا، ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة.

وهذا يمكن أن يكون أصله: ما رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص، من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قومًا على باب المسجد يدعون أنك ربهم!

فدعاهم؛ فقال لهم: ويلكم! ما تقولون؟!

قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا!

فقال: ويلكم! إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تـأكلون وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني -إن شـاء-، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله، وارجعوا!

فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليـه، فجـاء قنبـر؛ فقـال: قـد -والله!- رجعوا، يقولون ذلك الكلام.

فقال: أدخلهم.

فقالوا كذلك، فلـما كـان الثالـث قـال: لـئن قلـتم ذلـك لأقتلنكم بأخبث قتلة.

فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر! ائتني بفعلة معهم مرورهم، فخد لهم أخدودًا بين باب المسجد والقصر، وقال: احفـروا فأبعدوا في الأرض.

وجاء بالحطب فطرحـه بالنـار في الأخـدود، وقـال: إني

طارحكم فيها أو ترجعوا؟!

فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها؛ حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيت أمرًا منكرًا، أوقدت ناري ودعوت قنبرًا.

وهذا سند حسن". اهـ

عدم اهتمام الرافضة بالمسجد الأقصى وبيت المقدس، وتسليمهم بيت المقدس للكفار

جاء في كتاب «بحار الأنوار» (٩٧/ ٤٠٥) للمجلسي الرافضي: "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن المساجد التي لها الفضل؟

فقال : المسجد الحرام، ومسجد الرسول.

قلت: والمسجد الأقصى -جعلت فداك-؟

قال: ذاك في السماء، إليه أسري برسول الله -صلى الله عليه وآله-.

فقلت: إن الناس يقولون: إنه بيت المقدس؟

فقال: مسجد الكوفة أفضل منه". اهـ

وجاء في كتاب «منتهى الآمال» (ص ٧٠) لعباس القمي الرافضي: "والمشهور على أن المسجد الأقصى هو: بيت

المقدس، ولكن يظهر من الأحاديث الكثيرة: أن المراد منه هو: البيت المعمور الذي يقع في السماء الرابعة، وهو أبعد المساجد". اهـ

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (١١/ ٢٤٠-٢٤١): "ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلثمائة...

وفيها: كتبت العامة من الروافض على أبواب المساجد لعنة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكتبوا -أيضًا-: "ولعن الله من غصب فاطمة حقها"، وكانوا يلعنون أبا بكر ومن أخرج العباس من الشورى -يعنون: عمر-، ومن نفى أبا ذر -يعنون: عثمان-، رضي الله عن الصحابة، وعلى من لعنهم لعنة الله.

ولعنوا من منع من دفن الحسن عند جده -يعنون: مروان ابن الحكم-، ولما بلغ ذلك جميعه معز الدولة لم ينكره ولم

يغيره، ثم بلغه أن أهل السنة محوا ذلك، وكتبوا عوضه: "لعن الله الظالمين لآل محمد من الأولين والآخرين"، والتصريح باسم معاوية في اللعن، فأمر بكتب ذلك -قبحه الله، وقبح شيعته من الروافض-.

لا جرم أن هؤلاء لا ينصرون، وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب؛ فيه تشيع وميل إلى الروافض، لا جرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء، بل يديل عليهم أعداءهم؛ لمتابعتهم أهواءهم، وتقليدهم سادتهم وكبراءهم وآباءهم وتركهم أنبياءهم وعلماءهم، ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام، وكان فيهم الرفض وغيره؛ استحوذ الفرنج على سواحل الشام وبلاد الشام كلها؛ حتى بيت المقدس، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة ودمشق وبعض أعمالها، وجميع السواحل وغيرها مع الفرنج، والنواقيس النصرانية والطقوص الانجيلية تضرب في

شواهق الحصون والقلاع، وتكفر في أماكن الايمان من المساجد وغيرها من شريف البقاع، والناس معهم في حصر عظيم، وضيق من الدين، وأهل هذه المدن التي في يد المسلمين في خوف شديد في ليلهم ونهارهم من الفرنج، فإنا لله وإنا إليه راجعون!

وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب، وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء". اهـ

معاونة الرافضة والنصيرية لليهود والنصارى
في الاستيلاء على بلاد الإسلام،
ومعاونة الرافضة للكفار والتتار في حروبهم على أهل السُّنة،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» (١/ ٢٠-٢١): "وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة؛ فإنهم إن يتبعون إلا الظن، وما تهوى الأنفس، ففيهم جهل وظلم؛ لا سيما الرافضة، فإنهم أعظم ذوي الأهواء جهلًا وظلمًا، يعادون خيار أولياء الله -تعالى- من بعد النبيين؛ من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان -رضي الله عنهم، ورضوا عنه-.

ويوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين، وأصناف الملحدين؛ كالنصيرية والإسماعيلية وغيرهم من الضالين، فتجدهم -أو كثيرًا منهم- إذا

اختصم خصمان في ربهم من المؤمنين والكفار، واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء، فمنهم من آمن ومنهم من كفر -سواء كان الاختلاف بقول أو عمل؛ كالحروب التي بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين-؛ تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن.

ذلك، وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك في وقائع متعددة، من أعظمها: الحوادث التي كانت في الإسلام في المائة الرابعة والسابعة؛ فإنه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام، وقتل من المسلمين ما لا يحصي عدده إلا رب الأنام؛ كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين، ومعاونة للكافرين.

وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير؛ حتى جعلهم الناس لهم كالحمير". اهـ

وقال ﵀ في (٦/ ٣٧٠-٣٧١): "وأن أصل كل فتنة

وبلية هم: الشيعة ومن انضوى إليهم، وكثير من السيوف التي سلت في الإسلام إنما كانت من جهتهم.

وعلم أن أصلهم ومادتهم: منافقون، اختلقوا أكاذيب، وابتدعوا آراء فاسدة؛ ليفسدوا بها دين الإسلام، ويستزلوا بها من ليس من أولي الأحلام، فسعوا في قتل عثمان، وهو أول الفتن، ثم انزووا إلى علي، لا حبًّا فيه ولا في أهل البيت لكن ليقيموا سوق الفتنة بين المسلمين.

ثم هؤلاء الذين سعوا معه؛ منهم من كفره بعد ذلك وقاتله؛ كما فعلت الخوارج، وسيفهم أول سيف سل على الجماعة، ومنهم من أظهر الطعن على الخلفاء الثلاثة؛ كما فعلت الرافضة، وبهم تسترت الزنادقة؛ كالغالية من النصيرية وغيرهم، ومن القرامطة الباطنية والإسماعيلية وغيرهم.

فهم منشأ كل فتنة، والصحابة رضي الله عنهم منشأ كل علم

وصلاح، وهدى ورحمة في الإسلام.

ولهذا تجد الشيعة ينتصرون لأعداء الإسلام المرتدين؛ كبني حنيفة -أتباع مسيلمة الكذاب-، ويقولون: إنهم كانوا مظلومين، كما ذكر صاحب هذا الكتاب، وينتصرون لأبي لؤلؤة الكافر المجوسي، ومنهم من يقول: "اللهم ارض عن أبي لؤلؤة واحشرني معه"، ومنهم من يقول في بعض ما يفعله من محاربتهم: "واثارات أبي لؤلؤة!" ؛ كما يفعلونه في الصورة التي يقدرون فيها صورة عمر من الجبس أو غيره.

وأبو لؤلؤة كافر، باتفاق أهل الإسلام، كان مجوسيًّا من عباد النيران، وكان مملوكًا للمغيرة بن شعبة، وكان يصنع الأرحاء، وعليه خراج للمغيرة كل يوم أربعة دراهم، وكان قد رأى ما عمله المسلمون بأهل الذمة، وإذا رأى سبيهم يقدم إلى المدينة، يبقى في نفسه من ذلك". اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (١/ ٩٤):

"فكل من كان أعرف للحق، وأتبع له؛ كان أولى بالصراط المستقيم.

ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ و﷡ هم أولى بهذه الصفة من الروافض، فإنه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ و﷡ جهلوا الحق وعرفه الروافض، أو رفضوه وتمسك به الروافض!

ثم إنا رأينا آثار الفريقين تدل على أهل الحق منهما، فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر، وقلبوها بلاد إسلام، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى، فآثارهم تدل على أنهم هم أهل الصراط المستقيم.

ورأينا الرافضة بالعكس في كل زمان ومكان؛ فإنه قط ما قام للمسلمين عدو من غيرهم إلا كانوا أعوانهم على الإسلام، وكم جروا على الإسلام وأهله من بلية؟

وهل عاثت سيوف المشركين عباد الأصنام من عسكر

هولاكو وذويه من التتار إلا من تحت رءوسهم؟

وهل عطلت المساجد، وحرقت المصاحف، وقتل سروات المسلمين وعلماؤهم وعبادهم وخليفتهم إلا بسببهم ومن جرائهم؟

ومظاهرتهم للمشركين والنصارى معلومة عند الخاصة والعامة، وآثارهم في الدين معلومة.

فأي الفريقين أحق بالصراط المستقيم؟ وأيهم أحق بالغضب والضلال؛ إن كنتم تعلمون؟!". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٤١٤-٤١٥-٤٢١): "وأما قصة الوزير ابن العلقمي وغيره؛ كالنصير الطوسي- مع الكفار، وممالأتهم على المسلمين؛ فقد عرفها الخاصة والعامة.

وكذلك من كان منهم بالشام؛ ظاهروا المشركين على المسلمين، وعاونوهم معاونة عرفها الناس.

وكذلك لما انكسر عسكر المسلمين لما قدم غازان؛ ظاهروا الكفار النصارى وغيرهم من أعداء المسلمين، وباعوهم أولاد المسلمين -بيع العبيد- وأموالهم، وحاربوا المسلمين محاربة ظاهرة، وحمل بعضهم راية الصليب.

وهم كانوا من أعظم الأسباب في استيلاء النصارى قديمًا على بيت المقدس؛ حتى استنقذه المسلمون منهم.

وقد دخل فيهم أعظم الناس نفاقًا من النصيرية والإسماعيلية ونحوهم؛ ممن هو أعظم كفرًا في الباطن ومعاداة لله ورسوله من اليهود والنصارى.

فهذه الأمور وأمثالها، مما هي ظاهرة مشهورة؛ يعرفها الخاصة والعامة؛ توجب ظهور مباينتهم للمسلمين ومفارقتهم للدين، ودخولهم في زمرة الكفار والمنافقين؛ حتى يعدهم من رأى أحوالهم جنسًا آخر غير جنس المسلمين.

فإن المسلمين الذين يقيمون دين الإسلام في الشرق والغرب -قديمًا وحديثًا- هم الجمهور، والرافضة ليس لهم سعي إلا في هدم الإسلام، ونقض عراه، وإفساد قواعده، والقدر الذي عندهم من الإسلام إنما قام بسبب قيام الجمهور به.

ولهذا قراءة القرآن فيهم قليلة، ومن يحفظه حفظًا جيدًا فإنما تعلمه من أهل السنة.

وكذلك الحديث إنما يعرفه ويصدق فيه، ويؤخذ عن أهل السنة.

وكذلك الفقه، والعبادة، والزهد، والجهاد، والقتال؛ إنما هو لعساكر أهل السنة، وهم الذين حفظ الله بهم الدين -علمًا وعملًا-، بعلمائهم، وعبادهم، ومقاتليهم". اهـ

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٠٠-٢٠٢): "ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة:

فيها: أخذت التتار بغداد، وقتلوا أكثر أهلها؛ حتى الخليفة، وانقضت دولة بني العباس.

منها: استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار: هولاكوخان، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة وميرته وهداياه وتحفه، وكل ذلك خوفًا على نفسه من التتار، ومصانعة لهم -قبحهم الله تعالى-، وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق والعرادات وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله ﷻ شيئًا؛ كما ورد في الأثر: «لن يغني حذر عن قدر»، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾[نوح:٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾[الرعد:١١].

وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب؛ حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه، وكانت مولدة تسمى: عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك؛ فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك، وفزع فزعًا شديدًا، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه، فإذا عليه مكتوب: (إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولهم)، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز، وكثرت الستائر على دار الخلافة.

وكان قدوم هلاكوخان بجنوده كلها، وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذي قدره الله وقضاه وأنفذه وأمضاه، وهو: أن هلاكو لما كان أول بروزه من همدان متوجهًا إلى العراق؛ أشار الوزير

مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية؛ ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم، فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره، وقالوا: إن الوزير إنما يريد بهذا: مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال، وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير، فأرسل شيئًا من الهدايا؛ فاحتقرها هلاكوخان، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره -المذكور- وسليمان شاه، فلم يبعثهما إليه، ولا بالا به؛ حتى أزف قدومه، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر؛ فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية، وجيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة، لا يبلغون عشرة آلاف فارس، وهم وبقية الجيش كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم؛ حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم

ويحزنون على الإسلام وأهله!

وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة، نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة؛ حتى نهبت دور قرابات الوزير، فاشتد حنقه على ذلك، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد، وإلى هذه الأوقات.

ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه، فاجتمع بالسلطان هلاكوخان -لعنه الله-، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه؛ لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية

ورؤوس الأمراء والدولة والأعيان، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكوخان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسًا، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين، وأنزل الباقون عن مراكبهم، ونهبت وقتلوا عن آخرهم.

وأحضر الخليفة بين يدي هلاكو؛ فسأله عن أشياء كثيرة، فيقال: إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي والوزير ابن العلقمي وغيرهما، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئًا كثيرًا من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة.

وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو: أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير: متى وقع الصلح على المناصفة؛ لا يستمر هذا إلا

عامًا أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو؛ أمر بقتله، ويقال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، والمولى نصير الدين الطوسي.

وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، وكان النصير وزيرًا لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين ابن جلال الدين، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير.

فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة؛ هون عليه الوزير ذلك؛ فقتلوه رفسًا، وهو في جوالق؛ لئلا يقع على الأرض شيء من دمه، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم، وقيل: بل خنق، ويقال: بل أغرق، فالله أعلم.

فباءوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحل والعقد ببلاده -وستأتي ترجمة الخليفة في الوفيات-، ومالوا على البلد؛ فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وقني الوسخ، وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون.

وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار؛ إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم، فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة، فيقتلونهم بالأسطحة؛ حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون!". اهـ

بيان أن دعوة الحزبيين للتقريب بين الرافضة وأهل السنة: دعوة قديمة باطلة مكشوفة، وأن الترامي في أحضان الرافضة للمنفعة والنصر: فعل قبيح شنيع

* قال التلمساني في كتاب «ذكريات لا مذكرات» (ص ٢٦٣-٢٦٤): "وفي الأربعينات -على ما أذكر- كان السيد القمي -وهو شيعي المذهب- ينزل ضيفًا على الإخوان في المركز العام، ووقتها كان الإمام الشهيد يعمل جادًّا على التقريب بين المذاهب". اهـ

وقال (ص ٢٦٤) نقلًا عن حسن البنا: "الشيعة فرق، تشبه على التقريب ما بين المذاهب الأربعة عند أهل السنة.

وهناك فوارق من الممكن إزالتها؛ كنكاح المتعة، وعدد الزوجات للمسلم، وذلك عند بعض فرقهم، وما أشبه

ذلك، مما لا يجب أن نجعله سببًا للقطيعة بين أهل السنة والشيعة". اهـ

* قال سيد قطب مادحًا الثورات في كتاب «العدالة الاجتماعية» (ص ١٨٩): "ولكن لا بد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر الأمور بروح الإسلام: أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها كانت أقرب إلى روح الإسلام واتجاهه من موقف عثمان، أو بالأدق من موقف مروان ومن ورائه بنو أمية". اهـ

وقال في (ص ١٥٩):"ولسنا ننكر على معاوية في سياسة الحكم: ابتداعه نظام الوراثة، وقهر الناس عليها؛ فحسب، إنَّما ننكر عليه أولًا وقبل كل شيء: إقصاءه العنصر الأخلاقي في صراعه مع علي، وفي سيرته في الحكم بعد ذلك إقصاءً كاملًا لأول مرة في تاريخ الإسلام.

فكانت جريمة معاوية الأولى؛ التي حطَّمت روح

الإسلام في أوائل عهده هي: نفي العنصر الأخلاقي من سياسته نفيًا باتًّا، ومما ضاعف الجريمة: أن هذه الكارثة باكرت الإسلام ولم تنقض إلا ثلاثون سنة على سننه الرفيعة.

ولكي ندرك عمق هذه الحقيقة يجب أن نستعرض صورًا من سياسة الحكم في العهود المختلفة على أيدي أبي بكر وعمر، وعلي أيدي عثمان ومروان، ثم على أيدي الملوك من أمية، ومن بعدهم من بني العباس، بعد أن خنقت روح الإسلام خنقًا على أيدي معاوية وبني أمية". اهـ

* جاء في مجلة «المسلمون» رقم (١٠) تحت عنوان: (مع نواب صفوي): "والشهيد العزيز -نضر الله ذكره- وثيق الصلة بالإخوان المسلمين، وقد نزل ضيفًا في دارها بالقاهرة أيام زيارته مصر، في كانون الثاني سنة (١٩٥٤)". اهـ

صورة تجمع الإخواني سيد قطب مع الرافضي نواب صفوي

(والسيد مجتبى نواب صفوي هو:

رجل شيعي، وزعيم منظمة: "فدائيو الإسلام" الأصولية الإيرانية،

كان يدعو إلى إسقاط شاه إيران، وساهم في تأسيس فكر الثورات،

وكان يزور سيد قطب ومركز الإخوان).

* والنقولات والأدلة على تقارب الإخوان المسلمين مع الرافضة الملاعين كثيرة، والواقع المؤلم والتاريخ المظلم لهم يشهد على ذلك، ولم يكن تقاربهم معهم بأخذ الأسلحة وتدريب المقاتلين فقط -كما يدعيه البعض!-، وإنما هو تقارب فكري منهجي على الفكر الحركي الحزبي.

تنبيه أول: قد يدلس بعض الحزبيين: أن التقارب مع الشيعة كان فقط في شراء الأسلحة والتسلح والتدريب والتقنية العسكرية –حتى يقبل عوام المسلمين هذا التقارب مع الشيعة!–، ولو كانت العلاقة (فقط) في ذلك لكانت مقبولة؛ كما يشتري المسلمون السلاح من الكفار، إلا أن العلاقة التاريخية بين الحزبيين والرافضة علاقة وطيدة، تتخللها المحبة والمودة والثناء والترحم على رموزهم مثل: الخميني، والقيام بزيارة قبره ووضع الزهور عليه، ومثل: الترحم على قاسم سليماني.

وعلى كل حال؛ الرافضة لا يعطون السلاح والتقنية العسكرية، ولا يقفون مع أحد من غير مذهبهم، ولا ينصرون ويؤيدون أحدًا بلا مقابل!! بل يسيرون ويعملون على مبدأ المثل الشعبي: (حكّ لي حتى أحكّ لك)! والمثل العامي: (أطعم الفم تستحي العين)!

قال الإمام الألباني رحمه الله في «سلسلة الهدى والنور» رقم (٧٦٨) في سؤال وجه إليه:

"السائل: السؤال هذا بيقول: فيه هناك جماعات إسلامية من أهل فلسطين تمدهم الشيعة...

الشيخ: الله أكبر!

السائل: كالروافض الأنجاس، من المعروف معروفين، هل يحق لنا أن نأخذ منهم ونسب عليهم؛ مشان نحارب اليهود؟

الشيخ: أنا أعتقد: أن الشيعة ليسوا فقط هم في هذا المجال، بل ملة الكفر كلها والضلال؛ إنما يقدمون قرشًا ليأخذوا أكثر من ذلك، يعني: هم يتعاملون على المثل العامي: (حكّ لي لأحكّ لك، حكّ لي لأحكّ لك).

فهم لا يقدمون هذه المساعدات إلا مقابل شيء يوطئون له ويمهدون له؛ ولو للمستقبل البعيد، والمثل العامي

السوري، ما أدري إذا كان عندكم هـذا -أيـضًا- معروفًـا: (أطعم الفم تستحي العين).

فإذًا؛ هذه حكمة.

لذلك نحن نقول: لا نرضـى لإخواننـا الفلـسطينيين ولا لأي أخ مسلم: أن يقبـل أن يقبـل مـالًا مـن دولـة كـافرة أو حكومة ضالة؛ لأنها لا تـدفع شـيء لوجـه الله، وإنـما لنـشر المذهب والضلال -هذا ما عندي-". ا هـ

تنبيه ثانٍ: لا يعني النقد لحركة ما!! أو جماعة ما!! في بلـد ما!! الرضى بأفعال أعدائهم (من اليهود والنصارى) بهم، أو القبول لـما يحـدث لهـم مـن الـشر والقتـل وغيـره، أو عـدم نصرهم والدعاء لهم وعلـى الكفـار، أو إسـلام أحـد مـنهم لعدوه الكافر!!!

فكل هذا محرم ولا يجـوز، والوقـوف مـع المـسلم -أيًّـا كان- ضد الكافر ونصره عليه: أمر واجب، مع بيـان خطئـه

أو بدعته أو ضلاله عن الحق والسنة، والتحذير من مخالفاته الشرعية الواقعة منه؛ فقد روى النسائي في «سننه» برقم (٤٧٣٤): عن قيس بن عباد قال: انطلقت أنا والأشتر إلى علي رضي الله عنه؛ فقلنا: هل عهد إليك نبي الله ﷺ شيئًا لم يعهده إلى الناس عامة؟ قال: لا؛ إلا ما كان في كتابي هذا.

فأخرج كتابًا من قراب سيفه، فإذا فيه: «المؤمنون تكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد بعهده، من أحدث حدثًا فعلى نفسه أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». [صححه المحدث الألباني].

قال السيوطي في شرح سنن النسائي (٨/ ١٧):

"«المؤمنون تتكافأ دماؤهم»، أي: تتساوى في القصاص والديات.

«وهم يد على من سواهم»، أي: هم مجتمعون على

أعدائهم، لا يسعهم التخاذل، بل يعاون بعضهم بعضًا على جميع الأديان والملل؛ كأنه جعل أيديهم يدًا واحدةً، وفعلهم فعلًا واحدًا". اهـ

قال شيخنا المحدث علي الحلبي ﵀ في كتابه «وماذا بعد (حرب غزة) أيها الأعزة؟!-» (ص ٢١-٢٢):

"رابع عشر: ومع هذا وذاك؛ فإنا -إذ نذكر هاتين المؤاخذتين- نذكرهما برحمة وشفقة وأخوة إسلامية -بقدر ما عند (حماس) من الحق-؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة: استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر.

فيجتمع في الشخص الواحد: موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا؛ كاللص الفقير تقطع يده لسرقته،

ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته.

هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه، فلم يجعلوا الناس لا مستحقًّا للثواب فقط، ولا مستحقًّا للعقاب فقط [«مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٠٩)]".

نذكر هاتين المؤاخذتين انطلاقًا من قول النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قالوا: يا رسول الله! ننصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف ننصره؟ فقال: «تحجزه -أو تمنعه- من الظلم؛ فإن ذلك نصره»[«صحيح البخاري» (٦٩٥٢)].

نذكرهما صدورًا عن الهدي النبوي الجليل: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[«صحيح البخاري» (١٣)، و«صحيح مسلم» (٤٥)].

نذكرهما تنفيذًا للتوجيه النبوي المبارك: «الدين

النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[«صحيح مسلم» (٩٥)].

ولا نذكر هاتين المؤاخذتين -أو إحداهما-والله!- تحزبًا، ولا تشفيًا، ولا انتقامًا، ولا تجاوزًا -وحاشا المسلم الحق أن يفعل أيًّا من ذلك -جعلني الله وإياكم منهم-". اهـ

وقال رحمه الله في (٢٣-٢٥):

"سابع عشر: -ومع كلِّ ما تقدم؛ فإننا-لهول الظرف الحالي، وعسره، وشدته- لا نجعل ما نأخذه على (حركة حماس) -أصلحها الله والقائمين عليها- مما هي واقعة فيه مِن قبل- إلى أن تغير وتستقيم وتسدد -وهو ما نرجوه منها، ونحبُّه لها- سببًا يجعلنا نكره لها النصرَ على اليهود! أو نحب لها الهزيمة فيما هو موجود!!

نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين...

بل قد "كان النبي ﷺ وأصحابه يفرحون بانتصار الروم والنصارى على المجوس -وكلاهما كافر-؛ لأن أحد الصنفين أقرب إلى الإسلام، وأنزل الله في ذلك: (سورة الروم)؛ لما اقتتلت الروم وفارس". [«مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٨) لشيخ الإسلام ابن تيمية].

"بل لو كان المتنازعان مبطلين -كأهل الكتاب والمشركين-؛ إذا تجادلوا أو تقاتلوا: كان المشروع: نصر أهل الكتاب على المشركين؛ بالقدر الذي يوافقهم عليه المؤمنون -إذا لم يكن في ذلك مفسدة تقاوم هذه المصلحة-؛ فإن ذلك من الحق الذي يفرح به المؤمنون..."؛ كما هو كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. [«بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ١٩٥)].

فكيف بالمسلم الأصلي -ولو خالفنا وخالفناه- هدانا

الله وإياه-؟!". اهـ

تنبيه ثالث: قد يستعمل ويستغل كثير من الحزبيين أي نقد لحركة ما!! أو حزب ما!! لكيل الاتهامات، وحمل الكلام على غير محمله، واتهام المنتقد بـ (العمالة والخيانة، والصهيونية والطابور الخامس، والخذلان والتخاذل...).

وهذا معروف عنهم وقديم منهم! وهو من قلة العلم والبضاعة الشرعية عندهم، وضيق صدرهم ونظرهم العلمي، وعدم سعة صدرهم للمخالف، وتعاملهم مع القضية الفلسطينية بالعواطف والحماس غير المنضبطين، وبمنهج وأحكام حزبية تعصبية.

ولسان حالهم يقول: (من كان معي ووافقني وأيدني؛ فهو معي، ومن كان ضدي وفارقني وانتقدني؛ فهو ضدي)!!

تنبيه رابع: بعد ذكرنا خبث وفساد وضلال وظلام عقيدة ومنهج وفكر وأعمال الرافضة، وتعاونهم مع اليهود

والنصارى ضد المسلمين:

يظهر لنا جليًّا: سبب موقفهم في عدم نصرهم لإخواننا أهل فلسطين عامة وأهل غزة خاصة، وتركهم وحدهم في مواجهة عدوهم.

ويظهر لنا بكل وضوح: كذبهم في إيران ولبنان وغيرها بأنهم سيحاربون بجيوشهم مع أهل السنة؛ ولو أرادوا أن يقاتلوا معهم بجيوشهم ورجالهم وأسلحتهم وعتادهم لفعلوا ذلك؛ كما فعلوه في سوريا والعراق واليمن ضد أهل السنة!

ويظهر لنا بالعين والعقل: أن وقوفهم على الحدود الأردنية المجاورة لفلسطين وهتافهم بنصرة الأقصى وفلسطين؛ ما هو إلا كذب وتمثيل وتقية!

والهدف من ذلك كله: إضعاف الدولة الأردنية -زهرة الديار الشامية-، وصنع الفتن فيها، والنيل منها، وزعزعة

أمنها، وإدخال ونشر التشيع فيهـا، وجلـب النـصر والتأييـد لمذهبهم، وإكمال (الهـلال الـشيعي) في بلادنـا الحبيبـة -لا وفقهم الله!- المشابه لـ (الهلال اليهودي)!

وقوف الغرب مع اليهود

وقوف الغرب (النصراني) مع اليهود في فلسطين يدل على: أن اليهود والنصارى لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم، وأن النصارى لا يبالون بما يحدث للمسجد الأقصى، ولا أهمية له عندهم، والتحذير من اتباع أهواء أهل الكفر، والركون إليهم؛ لأن (ملة الكفر واحدة).

قال الله ﷻ: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾[البقرة: ١٢٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٤٠٢-٤٠٣): "قال ابن جرير: "يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾، وليست اليهود

-يا محمد!- ولا النصارى براضية عنك أبدًا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق".

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾، أي: -قل يا محمد!-: إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى، يعني: هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل.

قال قتادة في قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾، قال: خصومة علمها الله محمدًا ﷺ وأصحابه، يخاصمون بها أهل الضلالة.

قال قتادة: وبلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقتتلون على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ حتى يأتي أمر الله».

قلت: هذا الحديث مخرج في «الصحيح» عن عبد الله بن عمرو.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾، فيه: تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى، بعد ما علموا من القرآن والسنة -عياذًا بالله من ذلك!-، فإن الخطاب مع الرسول، والأمر لأمته.

وقد استدل كثير من الفقهاء بقوله: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾؛ حيث أفرد الملة على أن: الكفر كله ملة واحدة؛ كقوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾[الكافرون:٦].

فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار، وكل منهم يرث قرينه؛ سواء كان من أهل دينه أم لا؛ لأنهم كلهم ملة واحدة.

وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد في رواية عنه، وقال في الرواية الأخرى كقول مالك: إنه لا يتوارث أهل ملتين شتى؛ كما جاء في الحديث، والله أعلم". اهـ

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٦٥): "يخبر تعالى رسوله: أنه لا يرضى منه اليهود ولا النصارى إلا باتباعه دينهم؛ لأنهم دعاة إلى الدين الذي هم عليه، ويزعمون أنه الهدى!

فقل لهم: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي أرسلت به ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، وأما ما أنتم عليه؛ فهو الهوى، بدليل قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾.

فهذا فيه: النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن أمته داخلة في ذلك؛ لأن (الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب)؛ كما أن (العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب)". اهـ

وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (٧/ ٦٥-٦٦) -لما ذكر فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبيت المقدس، وما فعله الروم بالمسجد الأقصى-: "وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة؛ لأنها قبلة اليهود، حتى إن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز لتلقى في الصخرة، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة، وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب، فجعلوا يلقون على قبره القمامة، فلأجل ذلك سمي ذلك الموضع: القمامة، وانسحب الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك.

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي وهو بإيلياء؛ وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود، قال لهم: إنكم لخليق أن تقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد؛

كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا.

ثم أمروا بإزالتها، فشرعوا في ذلك، فما أزالوا ثلثها، حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب". اهـ

وقال ﵀ في (١٢/ ٣٩٦) -لما ذكر فتح القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس، وما فعله الصليبيون بالمسجد الأقصى-: "ولكن نظفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير، وخربت دور الداوية، وكانوا قد بنوها غربي المحراب الكبير، واتخذوا المحراب مشتًا -لعنهم الله!-، فنظف من ذلك كله، وأعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية.

وغسلت الصخرة بالماء الطاهر، وأعيد غسلها بماء الورد والمسك الفاخر، وأبرزت للناظرين، وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين، ووضع الصليب عن قبتها، وعادت إلى حرمتها.

وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعًا؛ فباعوها من أهل البحور الجوانية بزنتها ذهبًا، فتعذر استعادة ما قطع منها". اهـ

وقال ﵀ في (١٢/ ٣٩٦-٣٩٧): "أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان والنواقيس والرهبان والقساقس، ودخله أهل الإيمان، ونودي بالأذان وقرئ القرآن، ووحد الرحمن؛ كان أول جمعة أقيمت: في اليوم الرابع من شعبان، بعد يوم الفتح بثمان، فنصب المنبر إلى جانب المحراب، وبسطت البسط، وعلقت القناديل، وتلي التنزيل، وجاء الحق وبطلت الأباطيل، وصفت السجادات، وكثرت السجدات، وتنوعت العبادات، وارتفعت الدعوات، ونزلت البركات، وانجلت الكربات، وأقيمت الصلوات، وأذن المؤذنون، وخرس القسيسون، وزال البؤس، وطابت النفوس،

وأقبلت السعود، وأدبرت النحوس، وعبد الله الأحد الصمد؛ الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وكبره الراكع والساجد، والقائم والقاعد، وامتلأ الجامع وسالت لرقة القلوب المدامع.

ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال؛ كادت القلوب تطير من الفرح في ذلك الحال! ولم يكن عين خطيب فبرز من السلطان المرسوم الصلاحي -وهو في قبة الصخرة-: أن يكون القاضي محيي الدين بن الزكي اليوم خطيبًا، فلبس الخلعة السوداء، وخطب للناس خطبة سنية فصيحة بليغة، ذكر فيها شرف البيت المقدس، وما رود فيه من الفضائل والترغيبات، وما فيه من الدلائل والأمارات". اهـ

خطأ الحزبيين بتعاونهم مع النصارى وإدخالهم في تنظيماتهم؛ فضلاً عن تسليمهم المناصب فيه!

* قال الدكتور حسن حتحوت في كتاب «حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه» (ص ١٨٨-١٨٩): " وعلى ذكر قسس الأقباط؛ فإن كثيرين يحاولون أن يلصقوا بالرجل ودعوته تهمة التعصب ضد النصارى، أو التفرقة بين عنصري الأمة، ويشهد الله ومن حضر من الصادقين: أن العكس هو الصحيح، فلم يكن الرجل داعية بغض ولا تفرقة". اهـ

إلى أن قال: "وقد وجدت دعوة الرجل صداها وتصديقها لدى الفهم من المسلمين والأقباط...ويكفي أن أذكر بأن الأستاذ (لويس فانوس) -من زعماء الأقباط- كان من الزبائن المستديمين لدرس الثلاثاء الذى يلقيه حسن

البنا، وكانت بينهما صداقة وطيدة.

وأن حسن البنا عندما تقدم مرشحًا لانتخابات البرلمان كان وكيله الذى يمثله فى مقر أحد اللجان الانتخابية: رجلًا قبطيًّا". اهـ

* قال محمود عساف في كتاب «مع الإمام الشهيد حسن البنا» (ص ٢٩): "حضر لزيارة الأستاذ (البنا) بالمركز العام عدد من قادة المسيحيين، أذكر منهم: توفيق -أو وهيب لا أذكر- دوس باشا، ولويس ومريت بطرس غالي -عضوا مجلس الشيوخ-، وطلبوا من الإمام أن ينشئ شعبة باسم: (الإخوان المسيحيون) لكي يسهموا مع (الإخوان المسلمين) فى نشر الإيمان بالله، والحث على الفضائل.

رد عليهم الإمام بأن الفكرة طيبة، ولكن يحول دون تنفيذها أن دعوتنا عالمية... وعلى هذا لا بأس من تكوين (الإخوان المسيحيين)، وأؤكد لكم بأنه سيكون هناك

تعاون تام بيننا وبينكم". اهـ

وهذا خلاف الهدي النبوي وخلاف قول السلف الصالح وخلاف منهج أهل السنة والجماعة:

قال الإمام ابن القيم في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٤٤٨-٤٤٩):

"فصل:

في المنع من استعمال اليهود والنصارى في شيء من ولايات المسلمين وأمورهم:

قال أبو طالب: سألت أبا عبد الله: يستعمل اليهودي والنصراني في أعمال المسلمين، مثل: الخراج؟ قال: لا يستعان بهم في شيء.

وقال أحمد: ثنا وكيع: ثنا مالك بن أنس، عن عبد الله بن نيار، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّا لا نَستعين بمُشرك»". اهـ

وقال ﷺ في (١/ ٤٩٩):

"فصل:

ولما كانت التولية شقيقة الولاية؛ كانت توليتهم نوعًا من توليهم، وقد حكم تعالى بأن من تولاهم فإنه منهم، ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم.

والولاية: تنافي البراءة، فلا تجتمع البراءة والولاية أبدًا.

والولاية: إعزاز، فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبدًا.

والولاية: صلة، فلا تجامع معاداة الكافر أبدًا.

فصل:

ولو علم ملوك الإسلام بخيانة النصارى الكتاب، ومكاتبتهم الفرنج أعداء الإسلام، وتمنيهم أن يستأصلوا الإسلام وأهله، وسعيهم في ذلك بجهد الإمكان؛ لثناهم ذلك عن تقريبهم وتقليدهم الأعمال". اهـ

خطر (التولي والموالاة) مع اليهود والرافضة من قِبل (الحكام والمحكومين)، وذِكر حكمهما، وفساد منهج الحزبيين في تولي الرافضة

قلت في «الأربعين الأمنيَّة» (ص ٦٣-٦٦):

"**الحديث الثاني والثلاثون: الفرق بين التولي والموالاة، وعدم تكفير الحكام بالموالاة:**

عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا ﵁ يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالمِقْدَادَ؛ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا مِنْهَا».

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تعادَى بِنَا خَيْلُنَا؛ حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ.

قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا

فِيهِ: (مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ! مَا هَذَا؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ -يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا-، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ؛ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ».

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ! دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ!

فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ! لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

فَأَنْزَلَ اللهُ السُّورَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ
ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى
وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ
أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ [الممتحنة:
١]. [أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ
أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة:٥١].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ
ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى
وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ
أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ [الممتحنة:
١].

"سئل الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف عن: الفرق بين الموالاة والتولي؟

فأجاب:

التولي: كفر يخرج من الملة، وهو: كالذب عنهم، وإعانتهم بالمال والبدن والرأي.

والموالاة: كبيرة من كبائر الذنوب؛ كَبَلِّ الدواة، أو بري القلم، أو التبشش لهم، أو رفع السوط لهم". [«الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٨/ ٤٢٢)].

وقال: "ويتعيَّن على كل مسلم ناصح لنفسه أن يعرف ما قرره العلماء رحمهم الله من الفرق بين التولي والموالاة.

قالوا رحمهم الله: الموالاة، مثل: لين الكلام، وإظهار شيء من البشاشة، أو لياقة الدواة، وما أشبه ذلك من الأمور اليسيرة؛ مع إظهار البراءة منهم ومن دِينهم، وعلمهم بذلك منه؛ فهذا مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وهو على خطر.

وأما التولي: فهو إكرامهم، والثناء عليهم، والنصرة والمعاونة لهم على المسلمين، والمعاشرة، وعدم البراءة منهم ظاهرًا.

فهذا ردة من فاعله، يجب أن تجرى عليه أحكام المرتدين، كما يدل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة المقتدى بهم.

ومن كلام العلامة القصيمي محمد بن عبد الله بن سليم في هذا المعنى، قال رحمه الله:

النوع الأول: أن يودهم ويود ما هم عليه من الكفر، ويطمئن إلى ذلك ويرضى به؛ فهذا كفر بلا ريب.

النوع الثاني: أن يودهم لغرض دنيوي؛ مع كراهته لما هم عليه، وتضليلهم، فهذا قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب، متعرض للوعيد". [«الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٥/ ٤٧٩)].

"ولهذا ضبطها العلماء بأن قالوا: تنقسم المولاة إلى قسمين:

الأول: التولِّي.

والثاني: المولاة.

الموالاة باسمها العام تنقسم: إلى التولي، وإلى موالاة.

أما التولِّي؛ فهو الذي جاء في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[المائدة:٥١]، تولَّاه توليًّا؛ التولي معناه: محبة الشرك وأهل الشرك، محبة الكفر وأهل الكفر، أو نصرة الكفار على أهل الإيمان، قاصدًا: ظهور الكفر على الإسلام، بهذا الضابط يتضح معنى التولي.

والتولي -كما ذكرتُ لكم- تولِّي الكفار والمشركين: كفر أكبر، وإذا كان من مسلم فهي ردة.

ما معنى التولِّي؟ معناه: محبة الشرك وأهل الشرك (لاحظ الواو)، يعني: يحب الشرك وأهل الشرك جميعًا مجتمعة، أو أن لا يحب الشرك، ولكن ينصرُ المشركَ على

المسلم، قاصدًا: ظهور الشرك على الإسلام، هذا الكفر الأكبر؛ الذي إذا فعله مسلم صار رِدَّة في حقه -والعياذ بالله!-.

القسم الثاني الموالاة: والموالاة المحرّمة من جنس: محبة المشركين والكفار؛ لأجل دنياهم، أو لأجل قراباتهم، أو لنحو ذلك.

وضابطه: أن تكون محبة أهل الشرك لأجل الدنيا، ولا يكون معها نصرة؛ لأنه إذا كان معها نصرة على مسلم بقصد: ظهور الشرك على الإسلام؛ صار توليًّا، وهو في القسم المُكَفِّر، فإن أحب المشرك والكافر لدنيا، وصار معه نوع موالاة معه؛ لأجل الدنيا، فهذا محرم ومعصية، وليس كفرًا". [«شرح الأصول الثلاثة» للشيخ صالح آل الشيخ].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٣٠): "نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين: أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم

أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعد على ذلك فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾[آل عمران:٢٨]، أي: من يرتكب نهي الله في هذا فقد بريء من الله؛ كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾[النساء:١٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[المائدة:٥١]". اهـ

خطر (الجاسوس)، وفساد عمله، وذكر الخلاف في قتله

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٣/ ١٠٤):

"فصل:

في هديه فيمن جَسَّ عليه:

ثبت عنه أنه قتل جاسوسًا من المشركين، وثبت عنه أنه: لم يقتل حاطبًا، وقد جَس عليه، واستأذنه عمر في قتله؛ فقال: «وَمَا يُدْرِيكَ! لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

فاستدل به من لا يرى قتل المسلم الجاسوس؛ كالشافعي، وأحمد، وأبي حنيفة رحمهم الله.

واستدل به من يرى قتله؛ كمالك، وابن عقيل -من أصحاب أحمد رحمه الله-، وغيرهما، قالوا: لأنه علل بعلة مانعة

من القتل منتفية في غيره، ولو كان الإسلام مانعًا مـن قتلـه لم يعلل بأخص منه؛ لأن الحكم إذا علل بالأعم، كان الأخص عديم التأثير، وهذا أقوى، والله أعلم". ا هـ

وقال ﵀ في (٣/ ٣٧١-٣٧٢):

"فصل:

وفيهـا: جـواز قتـل الجاسـوس؛ وإن كـان مـسلمًا؛ لأن عمر ﵁ سأل رسول الله ﷺ قتل حاطب بن أبي بلتعـة؛ لـما بعث يخبر أهل مكة بالخبر، ولم يقل رسول الله ﷺ: لا يحـل قتله؛ إنه مسلم، بل قال: «وَمَا يُدْرِيكَ! لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ»؛ فأجاب بأن فيه مانعًـا مـن قتله وهو: شهوده بدرًا.

وفي الجواب بهذا كالتنبيه على جواز قتل جاسوس لـيس له مثل هذا المانع، وهذا مذهب مالـك، وأحـد الـوجهين في مذهب أحمد.

وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا يقتل، وهو ظاهر مذهب أحمد.

والفريقان يحتجون بقصة حاطب.

والصحيح: أن قتله راجع إلى رأي الإمام؛ فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين؛ قتله، وإن كان استبقاؤه أصلح؛ استبقاه، والله أعلم.

فصل:

وفيها: جواز تجريد المرأة كلها وتكشيفها للحاجة والمصلحة العامة، فإن عليًّا والمقداد قالا للظعينة: "لتخرجن الكتاب أو لنكشفنك"، وإذا جاز تجريدها لحاجتها إلى ذلك حيث تدعو إليها؛ فتجريدها لمصلحة الإسلام والمسلمين أولى.

فصل:

وفيها: أن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر

متأولًا وغضبًا لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه؛ فإنه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به، بل يثاب على نيته وقصده.

وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع؛ فإنهم يكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم ونحلهم، وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدعوه". اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٢/ ٣١٠) "وقد نقل الطحاوي الإجماع على أن الجاسوس المسلم لا يباح دمه.

وقال الشافعية والأكثر: يعزر، وإن كان من أهل الهيئات يعفى عنه، وكذا قال الأوزاعي وأبو حنيفة: يوجع عقوبة ويطال حبسه". اهـ

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٧٢) : "يجب على ولي الأمر إذا أدرك جاسوسًا يكتب إلى أعدائنا بأخبارنا: أن يقتله؛ ولو كان مسلماً؛ لأنه عاث في

الأرض فساداً، فقتل الجاسوس -ولو كان مسلمًا-: واجب على ولي الأمر؛ لعظم فساده". ا هـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» (ص ٩٤): "هل يجوز أن يبلغ بالتعزير القتل؟

فيه قولان:

أحدهما: يجوز؛ كقتل الجاسوس المسلم، إذا اقتضت المصلحة قتله، وهذا قول مالك، وبعض أصحاب أحمد، واختاره ابن عقيل.

وقد ذكر بعض أصحاب الشافعي وأحمد نحو ذلك في قتل الداعية إلى البدعة؛ كالتجهم، والرفض وإنكار القدر.

وقد قتل عمر بن عبد العزيز غيلان القدري؛ لأنه كان داعية إلى بدعته". ا هـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» (ص ٩٣): "وأما مالك وغيره،

فحكي عنه: أن من الجرائم ما يبلغ به القتل.

ووافقه بعض أصحاب أحمد، في مثل: الجاسوس المسلم إذا تجسس للعدو على المسلمين؛ فإن أحمد توقف في قتله، وجوز مالك وبعض الحنابلة -كابن عقيل- قتله.

ومنعه أبو حنيفة والشافعي وبعض الحنابلة؛ كالقاضي أبي يعلى.

وجوز طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما: قتل الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة.

وكذلك كثير من أصحاب مالك، وقالوا: إنما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الفساد في الأرض؛ لا لأجل الردة". اهـ

وجوب وقوف البلدان الإسلامية (حكامًا ومحكومين) مع إخوانهم، ودعمهم، والدعاء لهم، ونصرتهم على عدوهم؛ كلٌّ حسب استطاعته

قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١٥٣-١٥٤): "لما ذكر تعالى صفات المنافقين الذميمة؛ عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة؛ فقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، أي: يتناصرون ويتعاضدون؛ كما جاء في «الصحيح»: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وشبك بين أصابعه.

وفي «الصحيح» أيضًا-: «مَثَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ: كَمَثَلِ الْجَسَدِ الوَاحِدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»[متفق عليه]". اهـ

قال الشيخ السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٣٤٤): "لما ذكر: أن المنافقين بعضهم أولياء بعض؛ ذكر: أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ووصفهم بضد ما وصف به المنافقين؛ فقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾، أي: ذكورهم وإناثهم.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في المحبة والموالاة، والانتماء والنصرة.

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وهو: اسم جامع لكل ما عرف حسنه: من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم: أنفسهم.

﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾، وهو: كل ما خالف المعروف وناقضه؛ من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾، أي: لا يزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله على الدوام.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾، أي: يدخلهم في رحمته، ويشملهم بإحسانه". اهـ

بوَّب الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» برقم (٢٤٤٢) "(باب: لا يظلم المسلم المسلم، ولا يسلمه):

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ؛ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٥/ ٩٧): "(قوله: باب: لا يظلم المسلم المسلم، ولا يسلمه):

بضم أوله، يقال: أسلم فلان فلانًا؛ إذا ألقاه إلى الهلكة، ولم يحمه من عدوه.

وهو عام في كل من أسلم لغيره، لكن غلب في الإلقاء إلى الهلكة.

قوله: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ»، هذه أخوة الإسلام؛ فإن كل اتفاق بين شيئين يطلق بينهما اسم الأخوة، ويشترك في ذلك الحر والعبد والبالغ والمميز.

قوله «لَا يَظْلِمُهُ»، هو خبر بمعنى الأمر؛ فإن ظلم المسلم للمسلم حرام.

وقوله «وَلَا يُسْلِمُهُ»، أي: لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم،

وقد يكون ذلك واجبًا، وقد يكون مندوبًا؛ بحسب اختلاف الأحوال.

وزاد الطبراني من طريق أخرى عن سالم: «وَلَا يُسْلِمُهُ فِي مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ».

ولمسلم في حديث أبي هريرة: «وَلَا يَحْقِرُهُ»، وهو بالمهملة والقاف، وفيه: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ».

قوله: «وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ»، في حديث أبي هريرة عند مسلم: «وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

قوله: «وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً»، أي: غمة، والكرب هو: الغم الذي يأخذ النفس، وكربات -بضم الراء-: جمع كربة، ويجوز فتح راء كربات وسكونها.

قوله: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا»، أي: رآه على قبيح فلم يظهره،

أي: للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه.

ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه؛ فلم ينته عن قبيح فعله، ثم جاهر به، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيء، فلو توجه إلى الحاكم وأقر؛ لم يمتنع ذلك.

والذي يظهر: أن الستر محله في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها؛ فيجب الإنكار عليه؛ وإلا رفعه إلى الحاكم، وليس من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة.

وفيه: إشارة إلى ترك الغيبة؛ لأن من أظهر مساوئ أخيه لم يستره.

قوله: «سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»، في حديث أبي هريرة عند الترمذي: «سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

وفي الحديث: حض على التعاون، وحسن التعاشر، والألفة.

وفيه: أن المجازاة تقع من جنس الطاعات، وأن من حلف أن فلانًا أخوه وأراد: أخوة الإسلام؛ لم يحنث". اهـ

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ١٢٠-١٢١): "قوله ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ»: أما كون المسلم أخا المسلم؛ فسبق شرحه قريبًا، وأما «لَا يَخْذُلُهُ»، فقال العلماء: الخذل: ترك الإعانة والنصر، ومعناه: إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه؛ لزمه إعانته؛ إذا أمكنه، ولم يكن له عذر شرعي.

«وَلَا يَحْقِرُهُ»، هو بالقاف والحاء المهملة، أي: لا يحتقره، فلا ينكر عليه، ولا يستصغره ويستقله". اهـ

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٥٦٦-٥٦٨): "قال المؤلف -رحمه الله تعالى- فيما

نقله عن عبد الله بن عمر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ»، يعني: في الدين؛ كما قال الله ﷻ: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[آل عمران:١٠٣]، وقال الله -تعالى-: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب:٥].

وهـذه الأخـوة هـي أوثـق الأخـوات، أوثـق مـن أخـوة النسب؛ فإن أخوة النـسب قـد يتخلـف مقتـضاها، فيكـون أخوك من النسب عدوًا لـك كارهًـا لـك، وذلـك يكـون في الـدنيا وفي الآخـرة، قـال الله -تعـالى-: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[الزخرف:٦٧].

أما أخوة الدين؛ فإنها أخـوة ثابتـة راسـخة في الـدنيا وفي الآخرة، تنفع الإنسان في حياته وبعد مماته.

لكن هذه الأخوة لا يترتب عليها ما يترتـب علـى أخـوة

النسب؛ من التوارث، ووجوب النفقة، وما أشبه ذلك.

ثم قال: «لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ»، لا يظلمه لا في ماله، ولا في بدنه، ولا في عرضه، ولا في أهله، يعني: لا يظلمه بأي نوع من الظلم.

«وَلَا يُسْلِمُهُ»، يعني: لا يسلمه لمن يظلمه، فهو يدافع عنه ويحميه من شره، فهو جامع بين أمرين:

الأمر الأول: أنه لا يظلمه.

والأمر الثاني: أنه لا يسلمه لمن يظلمه، بل يدافع عنه.

ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يجب على الإنسان أن يدافع عن أخيه في عرضه وبدنه وماله:

في عرضه، يعني: إذا سمع أحدًا يسبه ويغتابه؛ يجب عليه أن يدافع عنه، وكذلك -أيضًا- في بدنه؛ إذا أراد أحد أن يعتدي على أخيك المسلم، وأنت قادر على دفعه؛ وجب عليك أن تدافع عنه، وكذلك في ماله؛ لو أراد أحد أن يأخذ

ماله؛ فإنه يجب عليك أن تدافع عنه.

ثم قال ﷺ: «وَاللهُ فِي حَاجَةِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ»، يعني: أنك إذا كنت في حاجة أخيك تقضيها وتساعده عليها؛ فإن الله -تعالى- يساعدك في حاجتك ويعينك عليها؛ جزاءً وفاقاً.

ويُفهم من ذلك: أن الإنسان إذا ظلم أخاه؛ فإن أخوته ناقصة، وإذا أسلمه إلى من يظلمه؛ فإن أخوته ناقصة، وإذا أسلمه إلي من يظلمه؛ فإن أخوفه ناقصة، وإذا لم يكن في حاجته؛ فإن هذا يفوته الخير العظيم، وهو كون الله -تعالى- في حاجته.

ثم قال: «وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا؛ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، الكرب: ما يضيق على الإنسان ويشق عليه، ويجد له في نفسه همًّا وغمًّا.

فإذا فرجت عن أخيك هذه الكربة؛ فرج الله عنك كربة

من كرب يوم القيامة.

وتفريج الكربات يكون في أمور متعددة: إن كانت كربة مالية؛ فبإعطائه المال الذي تزول به الكربة، وإن كانت كربة معنوية؛ فبالحرص على رد معنويته ورد اعتباره؛ حتى تزول عنه الكربة، وإذا كانت كربة هم وغم؛ فبأن توسع عليه وتنفس له، وتبين له أن الأمور لا تدوم، وأن دوام الحال من المحال، وتبين له ما في هذا من الأجر والثواب العظيم، حتى تهون عليه الكربة". اهـ

وقول النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ. [«صحيح البخاري» (٤٨١)، و«صحيح مسلم» (٢٥٨٥)].

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ١٣٩-): "قوله: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وفي الحديث الآخر: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ

وَتَرَاحُمِهِمْ» إلى آخره، هـذه الأحاديـث صـريحة في تعظـيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد، في غير إثم ولا مكروه.

وفيه: جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلـى الأفهام.

قوله ﷺ: «تَدَاعَى لَهَا سَـائِرُ الجَـسَدِ»، أي: دعـا بعـضه بعضا إلى المشاركة في ذلك، ومنه: قوله: تداعت الحيطان، أي: تساقطت أو قربت من التساقط". اهـ

قـال الـشيخ العلامـة ابـن بـاز رحمه الله:"وهكـذا إخوانـنا في فلسطين، لهـم حـق علـى جميـع الـدول الإسـلامية وأغنيـاء المسلمين: أن يساعدوهم في جهادهم، وأن يقومـوا معهـم؛ حتى يتخلصوا من عدو الله: اليهود.

فاليهود شرهم عظيم وبلاؤهم كبيـر، وقـد آذوا إخوانـنا المسلمين في فلسطين.

فالواجب على الدول الإسلامية، وعلى جميع المسلمين القادرين: أن يساعدوهم في جهاد أعداء الله من اليهود؛ حتى يحكم الله بينهم وبين المسلمين -وهو خير الحاكمين-.

وذلك بنصر الله لهم على اليهود، وإخراجهم من بلاد المسلمين، أو الصلح بينهم وبين دولة فلسطين؛ صلحًا ينفع المسلمين، ويحصل به للفلسطينيين إقامة دولتهم، وقرارهم في بلادهم، وسلامتهم من الأذى والظلم.

فيجب على الدول الإسلامية: أن تقوم بهذا الأمر؛ حسب الطاقة والإمكان.

وأما بقاؤهم في حرب مع اليهود، وفي أذى عظيم وضرر كبير على رجالهم ونسائهم وأطفالهم؛ فهذا لا يسوغ شرعًا، بل يجب على الدول الإسلامية والأغنياء والمسؤولين من المسلمين: أن يبذلوا جهودهم ووسعهم في جهاد أعداء الله: اليهود، أو فيما يتيسر من الصلح -إن لم يتيسر الجهاد-،

صلحًا عادلًا، يحصل به للفلسطينيين إقامة دولتهم على أرضهم، وسلامتهم من الأذى من عدو الله: اليهود، مثلما صالح النبي ﷺ أهل مكة، وأهل مكة ذلك الوقت أكثر من اليهود؛ لأن المشركين الوثنيين أكفر من أهل الكتاب، فقد أباح الله طعام أهل الكتاب والمحصنات من نسائهم، ولم يبح طعام الكفار من المشركين ولا نساءهم، وصالحهم النبي ﷺ على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

وكان في هذا الصلح خير عظيم للمسلمين؛ وإن كان فيه غضاضة عليهم بعض الشيء، لكن رضيه النبي ﷺ للمصلحة العامة.

فإذا لم يتيسر الاستيلاء على الكفرة والقضاء عليهم؛ فالصلح جائز لمصلحة المسلمين وأمنهم، وإعطائهم بعض حقوقهم". ا هـ

جاء في «اللقاء الشهري» (٨/ ٣٥) للشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله السؤال التالي:

"فضيلة الشيخ: كما أشرتم بأن شهر رمضان المبارك قادم، ونحن نعيش أحوال المسلمين في كل مكان؛ سواء في البوسنة أو فلسطين أو مصر أو غيرها، والأعراض تنتهك وأهل الإسلام يذبحون ويقتلون كالذبائح!

فإلى متى يكون الصيام عن التكلم عن مذابح المسلمين؟ وماذا نفعل ونحن نشاهد هذه الظروف القاسية تحيط بالمسلمين؟ أرجو حثي والإخوة على العمل الذي ترونه تجاه ذلك؟

الجواب:

العمل الذي نراه تجاه هذه المصائب: أن نلجأ إلى الله عز وجل في نصرة كل مخذول خذله أهل الباطل، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ

﴿إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦].

أما بالنسبة لهؤلاء الذين يؤذون أو يقتلون ويذبحون؛ فإن الله ﷻ قال في حقهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[آل عمران:١٤٢]، ويقول ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[البقرة:٢١٤].

ونحث إخواننا المسلمين على مساعدة هؤلاء على قدر المستطاع: بالمال بالبدن بالجاه؛ لأن في ذلك تفريجًا لكرباتهم، وإشعارًا بأن إخوانهم المسلمين معهم في أي مكان.

وأما بالنسبة لما يلقاه الدعاة في البلدان التي ذكرها

السائل؛ فإنه قد يكون ذلك فتحًا مبينًا؛ لأنه إذا حصل للدعاة في تلك البلاد هذا التضييق فإن الناس يجتمعون حولهم، ويحصل بذلك النصر، ولهذا سمى الله ﷻ صلح الحديبية: (فتحًا)، مع أن ظاهره: أن فيه غضاضة على المسلمين، لكن صارت عاقبته حميدة.

فهؤلاء الذين يؤذون في تلك البلاد، لعل الله ﷻ أن يجعل ذلك فتحًا مبينًا لهم، فيلتف الناس حولهم، وينتصرون على من يؤذيهم". اهـ

قال الشيخ المحدث الألباني رحمه الله في «التعليق على متن الطحاوية» (ص ٧١-الهامش): "اعلم أن الجهاد على قسمين:

الأول: فرض عين، وهو: صد العدو المهاجم لبعض بلاد المسلمين؛ كاليهود الآن الذين احتلوا فلسطين.

فالمسلمون جميعًا آثمون حتى يخرجوهم منها". اهـ

سعي اليهود والغرب والمنافقين والكفار لزرع الفتن والحروب والثورات في البلدان العربية والإسلامية، واستغلال الحزبيين وغيرهم في تأجيج الفتن والثورات والفوضى الخلاقة

قال الله ﷻ: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾[التوبة:٤٧-٤٨].

وقال: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[البقرة:٢١٧].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ

مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[آل عمران:٧].

قال الحافظ ابن كثير ﵀ في «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١٤٠): "﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾، أَيْ: وَلَأَسْرَعُوا السَّيْرَ وَالْمَشْيَ بَيْنَكُمْ بِالنَّمِيمَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْفِتْنَةِ". اهـ

وقال في (٤/ ١٤١): "يَقُولُ تَعَالَى مُحَرِّضًا لِنَبِيِّهِ ﵇ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾، أَيْ: لَقَدْ أَعْمَلُوا فِكْرَهُمْ وَأَجَالُوا آرَاءَهُمْ فِي كَيْدِكَ وَكَيْدِ أَصْحَابِكَ، وَخِذْلَانِ دِينِكَ وَإِخْمَالِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً". اهـ

قال الإمام البغوي ﵀ في «معالم التنزيل» (٤/ ٥٦):

"أي: فسادًا وشرًّا.

ومعنى الفساد: إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين؛ بتهويل الأمر.

﴿وَلَأَوۡضَعُواْ﴾: أسرعوا، ﴿خِلَٰلَكُمۡ﴾: وسطكم؛ بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة ونقل الحديث من البعض إلى البعض.

وقيل: ﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾، أي: أسرعوا فيما يخلّ بكم.

﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾، أي: يطلبون لكم ما تفتنون به، يقولون: لقد جُمع لكم كذا وكذا، وإنكم مهزومون وسيظهر عليكم عدوكم، ونحو ذلك.

وقال الكلبي: ﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾، يعني: الْعَيْبَ والشرَّ.

وقال الضحاك: الفتنة: الشرك، ويقال: بغيته الشر والخير أبغيه بُغَاءً؛ إذا الْتَمَسْتُه له، يعني: بغيت له". اهـ

قال الشيخ السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٣٣٩): "﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾، أي: ولسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين.

﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾، أي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «النبوات» (١/ ٤١٤): "وهذا البأس نوعان:

أحدهما: الفتن التي تجري عليهم.

والفتنة ترد على القلوب، فلا تعرف الحق، ولا تقصده؛ فيؤذي بعضهم بعضًا بالأقوال والأعمال.

والثاني: أن يعتدي أهل الباطل منهم على أهل الحقّ منهم.

فيكون ذلك محنة في حقهم، يكفر الله بها سيئاتهم، ويرفع بالصبر عليها درجاتهم، وبصبرهم وتقواهم لا يضرّهم كيد الظالمين لهم، بل تكون العاقبة للتقوى، ويكونون من أولياء الله المتقين، وحزب الله المفلحين، وجند الله الغالبين؛ إذا كانوا من أهل الصبر واليقين؛ فـ ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف:٩٠].

والمتعدي منهم إما أن يتوبَ الله عليه كما تاب على إخوة يوسف بعد عدوانهم عليه، وآثره الله عليهم بصبره وتقواه؛ كما قال لما قالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ [يوسف:٩٠-٩٢]". اهـ

* ويسعى اليهود والصهاينة والغرب والماسونية لنشر الفوضى الخلاقة في البلدان العربية والإسلامية، وهي فلسفة سياسية تعمل على تحويل دولة إلى حالة من الفوضى؛ بحيث يتم تدمير أو تقليل سلطة القانون التي تربط المجتمع الواحد في الدولة.

وتخلق هذه الفوضى حالة جديدة من اللانظام، وتفرض أمرًا واقعًا يكون هدفه الرئيس عادة: إسقاط النظام السابق، عن طريق الثورات والمظاهرات والاعتصامات والربيع العربي والخروج على الحكومات، وعمل الفوضى لزعزعة الأمن والإيمان في المجتمعات والدول الإسلامية؛ والتي ينجرف مع هذه الأفكار الكثير من الحزبيين والسرورية والتكفيرية وغيرهم من الجماعات!!

قلت في «إضاءات على بعض مواقف ومقالات الإسلاميين في ظل ما تشهده دولتنا الأردنية من إضرابات

واعتصامات ومظاهرات» (ص ٧-٩):

"٢- الحزبيون والحركيون:

يوافق أهل التحزب الاعتصامات والمظاهرات، ويرونها أنها من دين الله، وأنها السبيل الأنجع لإصلاح المجتمعات حكامًا ومحكومين!! ويغلفون الأهداف الحزبية بتغليفات إسلامية وشعارات حركية إسلامية! لدغدغة عواطف العامة والدهماء وجلب نبض الشارع لهم! وتوجيه بوصلة المطالب الحقيقية إلى مطالبهم الحزبية بنكهة إسلامية!!

وقد تتقاسم الأدوار فيما بينهم -سواء من الصقور أو الحمائم!-، فيظهر البعض بصورة ناعمة؛ ليتغنى على أطلال الوطن والتباكي على ربوع الوطن بالصبغة الحركية الحزبية! في حين يظهر البعض الآخر بصورة خشنة! لتصفية أمور سياسية وتطبيق لنظريات ونظرات حزبية؛ لتنصهر مطالب العامة في بوتقة الحزب لتخرج بقالب إسلامي

حركي!!

ولقد سطر التاريخ المواقف واستغلالها من قبلهم دون تجنٍ أو افتراء!! وخير شاهد ما جاء في (الخريف العربي)!! والفتاوى والمؤلفات التي تدعم هذه الاعتصامات والمظاهرات منتشرة ومعروفة وقديمة على مدار قرن من الزمان.

وإخوانهم من الحزب الآخر من المعتزلة الجدد -بصورة جديدة إسلامية- لا يختلف حالهم عن حال الآخرين؛ الذي يصدق فيهم قول الله -تعالى-: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون:٥٣].

٣- السرورية:

أما السرورية؛ فلا يختلفون عن إخوانهم الحزبية والتكفيرية، وهم بطفرتهم الجينية المشوهة الناتجة من

تناكح الحزبية بالسلفية! -والسلفية منهم بريئة! وإن تزيّوا بزيها!- خرجوا بأفكارهم المُحدَّثة المُحدَثة! لتكون بيئة المظاهرات والاعتصامات من البيئات الملائمة لهم! لبث أفكارهم ونشر تنظيمهم!

وعندهم هذه الأجواء مما يتلذذون بها ويزيدون الاحتقان للشعب، ولسان حالهم يقول لأعداد المتظاهرين: (هل من مزيد)! وقد أبلوا البلاء الكبير في الربيع العربي والخليج العربي وباقي البلدان الإسلامية!

وهؤلاء يتجنبون إظهار فتاوى الأئمة الكبار لدعوة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة -مع أن الكثير يتمسح بهم ويقول بالتلمذة عليهم! ظلمًا وزورًا-، والتي تقول بحرمة المظاهرات والاعتصامات، وتحذر من التكفير والخروج، ويجعلون هذه الفتاوى من هؤلاء الأئمة من زلات العلماء!

بل هم يجعلون الخلاف في الخروج والإنكار على أئمة

الجور من الخلاف الفقهي المستساغ!! والخلاف في الدماء المترتبة من الخروج والمظاهرات كالاختلاف في دماء المستحاضة! ودماء الدمامل والبثور! مع أنهم يتورعون في دم البق والبعوض وباقي الدماء، ولا يتورعون في دماء المتظاهرين والمعتصمين!

وهم بتعظيمهم الظاهري للدعوة السلفية إلا أنهم أساءوا للسلفية ولدعوة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وذلك بأفكارهم الدخيلة على الدعوة ! ومظهرهم مخالف لباطنهم الحزبي الحركي! ولقد صدق التشبيه لهم بأن: (هيكلهم الخارجي سلفي! ومحرك الاحتراق وصندوق التروس حزبي حركي)!

ولذا في ظل الاعتصامات يتجنبون التغريدات! والتعليقات! على وسائل التواصل الاجتماعي! ويتجنبون ذكر الاجتماع والحفاظ على الأمن، مع أنهم في باقي الأيام

قد أشبعوا وسائل التواصل الاجتماعي بالنعيق في التغريدات!

وليس هذا فقط بل يتهمون في مجالسهم الخاصة والعامة أصحاب دعوة الكتاب والسنة أنهم من المتخاذلين، ومن المرجئة، ومن علماء السلاطين! ويظنون أنهم يفقهون الواقع، وغيرهم لا يفقه شيئًا!". اهـ

ظهور النفاق وذي الوجهين
عند وقوع الفتن والحروب على المسلمين

قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء:١٤١].

وقال: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران:١٢٠].

وقال: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ٥٠﴾ [التوبة:٥٠].

قال الحافظ ابن كثير ﵀ في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٩٤): ".

قال تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا﴾، وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين، وهو: أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم؛ ساء ذلك المنافقين.

وإن أصاب المسلمين سنة أي جدب أو أديل عليهم الأعداء، لِما لله -تعالى- في ذلك من الحكمة -كما جرى يوم أحد-؛ فرح المنافقون بذلك.

قال الله -تعالى- مخاطبًا للمؤمنين: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ الآية: يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار؛ باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله؛ الذي هو محيط بأعدائهم، فلا

حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه". ا هـ

وقال ﵀ في (٤/ ١٤٢): "يعلم ﷻ نبيه ﷺ بعداوة هؤلاء له؛ لأنه مهما أصابه من حسنة، أي: فتح ونصر وظفر على الأعداء، مما يسره ويسر أصحابه؛ ساءهم ذلك.

﴿وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ﴾، أي: قد احترزنا من متابعته من قبل هذا، ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ٥٠﴾.

فأرشد الله -تعالى- رسول الله ﷺ إلى جوابهم في عداوتهم هذه التامة؛ فقال: ﴿قُل﴾، أي: لهم ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾، أي نحن تحت مشيئته وقدره، هو مولانا، أي: سيدنا وملجؤنا، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ

ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة: ٥١]، أي: ونحن متوكلون عليه،
وهو حسبنا ونعم الوكيل". اهـ

وقال ﵀ في (٢/ ٣٨٦): "يخبر تعالى عن المنافقين: أنهم
يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء، بمعنى: ينتظرون زوال
دولتهم، وظهور الكفر عليهم، وذهاب ملتهم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، أي: نصر وتأييد وظفر
وغنيمة.

﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾[النساء: ١٤١]، أي: يتوددون
إلى المؤمنين بهذه المقالة.

﴿وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ﴾[النساء: ١٤١]، أي: إدالة
على المؤمنين في بعض الأحيان -كما وقع يوم أحد؛ فإن
الرسل تبتلى ثم يكون لها العاقبة-، ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ
وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[النساء: ١٤١]، أي: ساعدناكم في

الباطن، وما ألوناهم خبالًا وتخذيلًا حتى انتصرتم عليهم.

وقال السدي: ﴿نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ﴾[النساء:١٤١]: نغلب عليكم، كقوله: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾[المجادلة:١٩].

وهذا -أيضًا- تودد منهم إليهم، فإنهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم وقلة إيقانهم، قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[النساء:١٤١]، أي بما يعلمه منكم -أيها المنافقون!- من البواطن الرديئة، فلا تغتروا بجريان الأحكام الشرعية عليكم ظاهرًا في الحياة الدنيا، لما له في ذلك من الحكمة، فيوم القيامة لا تنفعكم ظواهركم، بل هو يوم تبلى فيه السرائر، ويحصل ما في الصدور". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٤٢-٦٤٣): "ولا يشير على ولي أمر المسلمين بما

فيه إظهار شعائرهم في بلاد الإسلام أو تقوية أمرهم -بوجه من الوجوه- إلا رجل منافق يظهر الإسلام وهو منهم في الباطن، أو رجل له غرض فاسد مثل: أن يكونوا برطلوه ودخلوا عليه برغبة أو رهبة، أو رجل جاهل في غاية الجهل، لا يعرف السياسة الشرعية الإلهية التي تنصر سلطان المسلمين على أعدائه وأعداء الدين؛ وإلا فمن كان عارفًا ناصحًا له أشار عليه بما يوجب نصره وثباته وتأييده، واجتماع قلوب المسلمين عليه ومحبتهم له، ودعاء الناس له في مشارق الأرض ومغاربها.

وهذا كله إنما يكون بإعزاز دين الله، وإظهار كلمة الله، وإذلال أعداء الله -تعالى-.

وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين وصلاح الدين، ثم العادل؛ كيف مكنهم الله وأيدهم وفتح لهم البلاد، وأذل لهم الأعداء؛ لما قاموا من ذلك بما قاموا به.

وليعتبر بسيرة من والى النصارى؛ كيف أذله الله -تعالى- وكبته.

وليس المسلمون محتاجين إليهم -ولله الحمد-". اهـ

* عن أبي هريرة: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ: ذُو الوَجْهَيْنِ؛ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ»[«صحيح البخاري» (٧١٧٩)، و«صحيح مسلم» (٢٥٢٦)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٥): "قال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شر الناس؛ لأن حاله حال المنافق؛ إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس.

وقال النووي: هو: الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها؛ فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع، وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين، وهي مداهنة محرمة.

قال: فأما من يقصد بذلك: الإصلاح بين الطائفتين؛ فهو محمود.

وقال غيره: الفرق بينهما:

أن المذموم: من يزين لكل طائفة عملها ويقبحه عند الأخرى، ويذم كل طائفة عند الأخرى.

والمحمود: أن يأتي لكل طائفة بكلام فيه صلاح الأخرى، ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى، وينقل إليه ما أمكنه من الجميل ويستر القبيح، ويؤيد هذه التفرقة: رواية الإسماعيلي من طريق بن نمير عن الأعمش: «الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاء بِحَدِيث هَؤُلَاءِ».

وقال ابن عبد البر: حمله على ظاهره جماعة، وهو أولى، وتأوله قوم على أن المراد به: من يرائي بعمله؛ فيري الناس خشوعًا واستكانةً، ويوهمهم أنه يخشى الله؛ حتى يكرموه، وهو في الباطن بخلاف ذلك". اهـ

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٧٩): "قوله ﷺ في ذي الوجهين إنه: من شرار الناس، فسببه ظاهر؛ لأنه نفاق محض وكذب وخداع، وتحيل على اطلاعه على أسرار الطائفتين، وهو: الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، ويظهر لها أنه منها -في خير أو شر-، وهي مداهنة محرمة". اهـ

بطلان دعوى وحدة الأديان والبيت الإبراهيمي

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾[آل عمران:٦٥].

قال الشيخ السعدي ﵀ في «تيسير الكريم الرحمن» (ص ١٣٤): "لما ادعى اليهود: أن إبراهيم كان يهوديًّا، والنصارى: أنه نصراني، وجادلوا على ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يمكن لهم ولا يسمح لهم أن يحتجوا ويجادلوا في أمر هم أجانب عنه، وهم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا؛ فليس معهم المحاجة في شأن إبراهيم.

الوجه الثاني: أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم وهو قبلهم متقدم عليهم؛ فهل هذا يعقل؟! فلهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾، أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك.

الوجه الثالث: أن الله -تعالى- برأ خليله من اليهود والنصارى والمشركين، وجعله حنيفًا مسلمًا، وجعل أولى الناس به: من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو: محمد ﷺ ومن آمن معه، فهم الذين اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، والله -تعالى- وليهم وناصرهم ومؤيدهم.

وأما من نبذ ملته وراء ظهره؛ كاليهود والنصارى والمشركين، فليسوا من إبراهيم وليس منهم، ولا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب.

وقد اشتملت هذه الآيات على: النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه.

وفيها -أيضًا-: حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ". اهـ

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٩): "ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم.

كما قال محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني محمد بن أبي محمد -مولى زيد بن ثابت-: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا، وقالت النصارى: ما

كان إبـراهيم إلا نـصرانيًّا، فـأنزل الله -تعـالى-: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الآية.

أي: كيف تدعون أيها اليهود! أنه كان يهوديًّـا وقـد كـان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى؟

وكيف تدعون أيهـا النـصارى! أنـه كـان نـصرانيًّا وإنـما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟ ولهـذا قـال تعـالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾.

ثم قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ﴾[آل عمران:٦٦] الآية:

هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم لـه بـه، فـإن اليهـود والنصارى تحاجوا في إبـراهيم بـلا علـم، ولـو تحـاجوا فـيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثـة محمـد ﷺ؛ لكـان أولـى بهـم، وإنـما تكلمـوا فـيما لا

يعلمون، فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة؛ الذي يعلم الأمور على حقائقها وجليتها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾[آل عمران:٦٦].

ثم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾، أي: متحنفًا عن الشرك قاصدًا إلى الإيمان، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾[آل عمران:٦٧].

وهذه الآية كالتي تقدمت في سورة البقرة: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ﴾[البقرة:١٣٥] الآية.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾[آل عمران:٦٨]:

يقول تعالى: أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل: الذين

اتبعوه على دينه وهذا النبي، يعني: محمدًا ﷺ، والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بعدهم". اهـ

* قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في سؤال وجه إليه في «اللقاء الشهري» رقم (٣٠):

السؤال: فضيلة الشيخ: هناك من يدعو إلى التقريب بين الأديان، ويدعي: أن أهل الإسلام واليهود والنصارى متفقون على أصل التوحيد، هل يحكم بكفره؟ وما رأيك بهذا الأمر؟

الجواب: أنا أرى أن هذا كافر؛ الذي يرى أن الدين الإسلامي واليهود والنصارى متفقون على التوحيد: كافر، مكذب لله ورسوله.

وإذا كان يرى: أن النصارى الذين يقولون: إن الله ثالث ثلاثة؛ أنهم: موحدون، فهو غير موحد؛ لأنه رضي بالكفر والشرك!

وكيف يتفق من يقول: إن عيسى ابن الله وعزير ابن الله، ومن يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص]؟!!

ولهذا أقول لهذا الرجل: تبّ إلى الله ﷻ؛ لأن هذه ردة، يباح بها دمك ومالك، وينفسخ بها نكاحك، وإذا مت فلا كرامة لك، ترمس في حفرة لئلا يتأذى الناس برائحتك، ولا يحل لأحد أن يستغفر لك؛ إذا مت على هذه الحالة، حتى إن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن -أو قال: لا يتبع ما جئت به-؛ إلا كان من أصحاب النار».

الأديان السماوية هي أديان ما دامت باقية، فإذا نسخت فليست بأديان، فاليهود حين كانت شريعة موسى قائمة، وهم متبعون لها هم على الإسلام، والنصارى حينما كانت

شريعة عيسى قائمة، وهم متبعون لها هم من أهل الإسلام، لكن بعد بعثة الرسول ﷺ صاروا كلهم كفارًا، لا يقبل عملهم؛ لقول الله -تعالى-: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران: ٨٥]". اهـ

* أفتت «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (١٢/ ٢٧٤-٢٨٤)، رقم (١٩٤٠٢):

"الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى (وحدة الأديان): دين الإسلام، ودين اليهودية، ودين النصارى، وما تفرع عن

ذلك من دعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد.

إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب.

وبعد التأمل والدراسة؛ فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولًا: إن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع.

فلم يبق على وجه الأرض دين يتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

﴿ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾[آل عمران: ٨٥].

والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن كتاب الله -تعالى-: (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولًا وعهدًا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل؛ من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها.

فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به سوى القرآن الكريم، قال الله -تعالى-: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا

بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[المائدة: ٤٨].

ثالثًا: يجب الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد نُسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان؛ كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم، منها: قول الله -تعالى-: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾[المائدة:١٣]، وقوله -جل وعلا-: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾[البقرة:٧٩]، وقوله

سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٨﴾ [آل عمران: ٧٨].

ولهذا فما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف أو مبدل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال عليه الصلاة والسلام: «أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟! لو كان أخي موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي». رواه أحمد والدارمي وغيرهما.

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن نبينا ورسولنا محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين؛ كما قال الله -تعالى-: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ

ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَ ﴾[الأحزاب:٤٠]، فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيًّا لما وسعه إلا اتباعه ﷺ، وإنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[آل عمران: ٨١].

ونبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد ﷺ، وحاكمًا بشريعته، وقال الله -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف:١٥٧].

كما أن من أصول الاعتقاد في الاسلام: أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ:٢٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وغيرها من الآيات.

خامسًا: ومن أصول الإسلام: أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته: كافرًا -ممن قامت عليه الحجة-، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿لَمْ

يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾[البينة:١]، وقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾[البينة:٦]، وقال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام:١٩]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾[إبراهيم:٥٢] الآية، وغيرها من الآيات.

وثبت في «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»[«صحيح مسلم» (الإيمان) (١٥٣)، «مسند أحمد بن حنبل» (٢/ ٣١٧)].

ولهذا فمن لم يكفر اليهود والنصارى فهو كافر، طردًا لقاعدة الشريعة: (من لم يكفر الكافر بعد إقامة الحجة عليه؛

فهو كافر).

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية؛ فإن الدعوة إلى (وحدة الأديان) والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد: دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها: خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله -سبحانه-: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة:٢١٧]، وقوله -جل وعلا-: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾[النساء:٨٩].

سابعًا: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة: إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين؛ فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله.

والله -جل وتقدس- يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة:٢٩]، ويقول ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾[التوبة:٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾[آل عمران:١١٨].

ثامنًا: إن الدعوة إلى (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم؛ فهي تعتبر: ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله ﷻ، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الشرائع والأديان.

وبناء على ذلك؛ فهي: فكرة مرفوضة شرعًا، محرمة قطعًا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعًا: وبناء على ما تقدم:

١- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين؛ فضلًا عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟

فمن فعله أو دعا إليه؛ فهو في ضلال بعيد؛ لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم) والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل).

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: (بناء مسجد

وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد؛ لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان.

ولا شك أن إقرار ذلك واعتقاده أو الرضا به: كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله -تعالى الله عن ذلك-.

كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس: (بيوت الله)، وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله -تعالى- يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران:٨٥]، بل هي بيوت يكفر فيها بالله -نعوذ

بالله من الكفر وأهله-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ١٦٢) : "ليست -البيع والكنائس- بيوتًا لله، وإنما بيوت الله: المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها الكفار، فهي بيوت عبادة الكفار".

عاشرًا: ومما يجب أن يعلم: أن دعوة الكفار بعامة، وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين؛ بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة.

ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام، ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ

كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عمران: ٦٤].

أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام ومعاقد الإيمان؛ فهذا باطل، يأباه الله ورسوله والمؤمنون -والله المستعان على ما يصفون-، قال تعالى: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾[المائدة: ٤٩].

وإن اللجنة إذ تقرر ما تقدم ذكره، وتبينه للناس؛ فإنها توصي المسلمين بعامة، وأهل العلم بخاصة بتقوى الله -تعالى- ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: (وحدة الأديان)، ومن الوقوع في حبائلها.

ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سببًا في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين، وترويجها بينهم.

نسأل الله -سبحانه-، بأسمائه الحسنى وصفاته العلى: أن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا؛ حتى نلقاه وهو راض عنا.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

عضو: بكر أبو زيد. عضو: صالح الفوزان.

نائب الرئيس: عبد العزيز آل الشيخ.

الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز". اهـ

قال فضيلة شيخنا المحدث علي الحلبي رحمه الله في تحقيقه لكتاب «العبودية» (ص ١٤٠-الهامش٢): "فدندنة بعض

(العصرانيين) حول (وحدة الأديان) و(التسامح الديني) و(الإخوة الإنسانية): من ضلالات هؤلاء المبطلين، وانحرافاتهم، بل كفرياتهم، وإنما يريدون بذلك: اجتثاث أصل الإسلام، ومحو حقيقة دين الله من النفوس؛ فالحذر الحذر!!". اهـ

قلت: وفي هذا التعليق من شيخنا المحدث أسد السُّنة: البراءة من القول بوحدة الأديان؛ التي يتهمه بها غلاة التجريح بلا دليل ولا حجة ولا بينة، ولا رحمة ولا عدل ولا إنصاف، والله المستعان على أهل هذا الزمان!

الاستغلال الأمثل للقضية الفلسطينية بالطرق السلفية، والتحذير من الاستغلال الأفشل لها بالطرق الحزبية

قلت في «مائة فائدة مستخلصة من حادثة الأقصى وغزة» (ص ٨):

"٦٥- عدم استغلال القضية الفلسطينية لتمرير الأجندات الأخرى.

٦٦- عدم استغلال القضية الفلسطينية لجمع الأموال دون إيصالها لأصحابها.

٦٧- عدم استغلال القضية الفلسطينية لزرع الفتن وإضعاف الأمن في البلدان الإسلامية.

٦٨- عدم استغلال القضية الفلسطينية لنشر البدع والضلالات.

٦٩- استغلال القضية الفلسطينية لنشر التوحيد

والدعوة للكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

٧٠- نشر القوة بين المسلمين وعدم إضعافهم، وأن سبب القوة هو: التمسك بالدين".

أقول: إن القضية الفلسطينية منذ سبعة عقود وأكثر! -فرج الله عنها، وحرر المسجد الأقصى من اليهود الملاعين- تستغل بأسلوبين:

أما الأسلوب الأول: التوجيه السُّني السلفي.

وهو: توجيه القضية بالتوجيه السلفي القائم على منهج الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وربط الناس بالوحيين، وطريقة السلف الصالح، ودعوة الناس للعودة إلى هذا المنهج السلفي؛ حتى يتم نصرة المسلمين على اليهود بالعودة إلى التوحيد الخالص ونبذ الشركيات، ودعوتهم على منهج التصفية والتربية، ودعوتهم إلى جهاد العدو بالسيف والسنان والحجة والبرهان، مع الإعداد الإيماني

والإعداد المادي بشتى أنواعهما ووسائلهما؛ حتى يحارب العدو بقوة الإيمان وقوة السلاح.

الأسلوب الثاني: الأسلوب الحزبي الحركي.

وهو: توجيه القضية الفلسطينية بالتوجيه الحزبي والحركي، القائم على عقد الولاء والبراء للتنظيم الحزبي الحركي.

ويتم استغلال القضية بدغدغة عواطف العامة والدهماء واللعب بمشاعرهم بالشعارات الحزبية، والكلاشيهات التنظيمية! للعمل على تكتيل الناس وتجميعهم على المبدأ الحزبي من شتى الأفكار والطرق! مستخدمين القضية لكيل الاتهامات والطعن لكل من (يخالفهم) أو (ينتقدهم) بأي شيء!

والولاء والبراء عندهم يكون لكل من (حالفهم ووافقهم) في أقوالهم وأفعالهم وأفكارهم وتحزبهم.

وهكذا تضيع القضية باستغلالها لتمرير الأجندات الحزبية الأخرى، ونشر البدع وزرع الفتن وإضعاف الأمن في المجتمعات الإسلامية وفي بلاد المسلمين، وغيرها من الأهداف؛ دون الاهتمام بإرجاع المسلمين إلى دعوة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؛ حتى يأتي ويقع نصر الله الحقيقي؛ كما قال الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾[محمد:٧].

قال شيخنا المحدث علي الحلبي رحمه الله في كتابه «وماذا بعد (حرب غزة) أيها الأعزة؟!-» (ص ٢٥-٢٩):

ثامن عشر -ومع كل ما تقدم-؛ فإننا نؤصل قواعد مهمة لعموم الأمة -وبخاصة من فقه الكتاب والسنة-؛ فـ:

* نحذر -جدًّا- من اتخاذ بعض الأحزاب والحركات (الإسلامية) موضوع حرب (غزة) وجراحها وآلامها وشهدائها -والله حسيبهم- سُلمًا لتهييج العامة وتثويرهم

-من جديد!- للرجوع بالأمة والأوطان -مرة أخرى- إلى مفاسد ما سمي بـ (الربيع العربي!)، وما عاشته أكثر شعوبنا وأوطاننا -على إثره- من فقد الأمان، وضياع الاستقرار، وخلخلة الصف؛ مما لا يخدم إلا العدو اليهودي الغادر، وأجندته الخبيثة -علم أولئك المثورون المهيجون أم لم يعلموا!-.

* ونحذر -مؤكدين- من (سُلم التهييج) ذاك، والذي هو طريق سهلة تستدرج به هذه الأحزاب على تنوع سياساتها- كثيرًا من أبناء شعوبنا المسلمة -الطيبة قلوبها-؛ لتعيد لنفسها بعض الألق والمكانة -مما فقدته وأضاعته- نتيجة تمنياتها الفاشلة! لربيعها العربي الثائر.. الذي حلمت! أن تكون -به- هي الرائدة والقائدة!

وما راء كمن سمعا!!

* ونحذر -كذلك- من تحكيم العواطف في هذه

المعركة المزلزلة؛ بحيث يعمينا ذلك عن ضوابط الشرع الحكيم وأصوله؛ وبخاصة في أحكام التعامل مع حكام الجور، فلا نطيعهم في معصية الله -أُسًّا وابتداءً-، ولا نكفرهم، ولا نخرج عليهم، ولا نثور ضدهم -نتيجةً ومآلًا-.

فكم من الشعوب اليوم وقد جُرب بها وعليها: ثورات (الربيع العربي!)؛ فرأت وعاينت! فأيقنت أنها: بالاستقرار والأمن: تحيا، وتطمئن، وبفقدهما: تذوب وتضمحل!!!

* ونحذر -أيضًا- من أن يكون اختلاف بعض الآراء في أوضاع هذه الحرب ومجرياتها: سببًا في التطاعن والتطاحن بين المسلمين -عامة- وأهل السنة -خاصة-؛ مما لا يُفرح إلا الشيطان وجنده الطغام -من إنس وجان-!

* ونحذر -سواء بسواء- من أن يؤدي هذا الاختلاف -أو بعض منه- إلى بذر الفرقة والتشتيت بين علماء الأمة

وأبنائهم وتلاميذهم، لا في محض المخالفة لهم؛ فالأمر بذا سهل لمن هو له أهل، ولكن في: الطعن، والجرأة، والافتئات، والانحياز إلى الـ (أنا) المهلكة! وغرورها القتَّال!

* ونحذر -بعد هذا كله- من مخالفة (الحكمة) في البيان -عند إرادة إظهار ما نعتقده حقًّا-، والتي هي: وضع الشيء في موضعه، ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة:٢٦٩].

فكم أساء البعض إلى دعوة الكتاب والسنة -مشوهين صورتها في أذهان كثير من العامة والخاصة- بسبب: الجهر والصدع برأي ما؛ يخالفوهم به، أو إبانة موقف معين؛ لم يوافقهم عليه، دون التأمل في طريقة إبدائه، او إدراك عواقبه ونتائجه ومآلاته، "وكم من مريد للخير لن يصيبه"[رواه

الدارمي (٢١٠)]؛ كما قال الصحابي الجليل ابن مسعود.

ومنه: قوله ﵁: "ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم؛ إلا كان لبعضهم فتنة"[رواه مسلم (١٥)].

ومنه: قول الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﵁: "حدثوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟" [رواه البخاري (١٢٧)].

ويجمع صفوة ذلك كله: قول الإمام أبي إسحاق الشاطبي ﵀: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا؛ كانت الأفعال موافقة أو مخالفة.

وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل"[«الموافقات» (٥/ ١٧٧)].

وكذا قوله ﵀: "فإذا نظر المتسبب إلى مآلات الأسباب؛ فربما كان باعثًا له على التحرز من أمثال هذه

الأشياء؛ إذ يبدو له -يوم الدين- من ذلك ما لم يكن يحتسب -والعياذ بالله!-"[«الموافقات» (١/ ٣٦٣)].

وهو تأصيل جامع، يجب أن يتأمله الجميع -ناقدًا ومنتقَدًا-؛ ففيه فقه عال بديع". اهـ

فقه آية سورة الروم، والفرح بنصرة المخالف على الكافر، والوقوف مع المسلم لجامع الأخوة الإسلامية، ولا يفرح بنصرة الكافر على المسلم

قال الله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم:١-٥].

قال الإمام البغوي رحمه الله في «معالم التنزيل» (٣/ ٥٧١):

"ومعنى الآية: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ فارسًا ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ إليكم، ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾، يغلبهم المسلمون في بضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم.

والأول أصح، وهو قول أكثر المفسرين.

﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾، أي: من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها، فأي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره.

﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ الروم على فارس.

قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك.

﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾ الغالب، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين". اهـ

قال الشيخ السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٦٣٦): "كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكان يكون بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة.

وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل، وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس، فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون -لاشتراكهم والفرس في الشرك- يحبون ظهور الفرس على الروم.

فظهر الفرس على الروم؛ فغلبوهم غلبًا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركو مكة، وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾: تسع أو ثمان ونحو ذلك، مما لا يزيد على العشر، ولا ينقص عن الثلاث.

وأن غلبة الفرس للروم ثم غلبة الروم للفرس كل ذلك بمشيئته وقدره، ولهذا قال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾، فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما

هي لا بد أن يقترن بها القضاء والقدر.

﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾، أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم.

﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾، أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس؛ وإن كان الجميع كفارًا، ولكن بعض الشر أهون من بعض، ويحزن يومئذ المشركون.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾؛ الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء.

﴿ٱلرَّحِيمُ ٥﴾: بعباده المؤمنين؛ حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم ما لا يدخل في الحساب". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبوية»

(٦/ ٣٧٥): "فَهَذَا أَمْرٌ مَشْهُودٌ مِنْ مُعَاوَنَتِهِمْ لِلْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمِنَ اخْتِيَارِهِمْ لِظُهُورِ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ ظَلَمَةٌ فَسَقَةٌ، وَمُظْهِرُونَ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْبِدَعِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْ سَبِّ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ؛ لَكَانَ الْعَاقِلُ يَنْظُرُ فِي خَيْرِ الْخَيْرَيْنِ وَشَرِّ الشَّرَّيْنِ.

أَلَا تَرَى أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ فِي الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ مَا يَقُولُونَ؛ لَكِنْ لَا يُعَاوِنُونَ الْكُفَّارَ عَلَى دِينِهِمْ، وَلَا يَخْتَارُونَ ظُهُورَ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ عَلَى ظُهُورِ بِدْعَةٍ دُونَ ذَلِكَ؟". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ١٩٥): "بل لو كان المتنازعان مبطلين كأهل الكتاب والمشركين إذا تجادلوا أو تقاتلوا؛ كان المشروع نصر أهل الكتاب على المشركين؛ بالقدر الذي يوافقهم عليه المؤمنون، إذا لم يكن في ذلك مفسدة تقاوم هذه المصلحة،

فإن ذلك من الحق الذي يفرح به المؤمنون؛ كما قال تعالى:

﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ
غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ
وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ
مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الروم:١-٥]؛ فإنها

نزلت -كما استفاض في التفسير والمغازي والحديث- في اقتتال الروم النصارى والفرس المجوس، كانت المجوس قد غلبت النصارى على أرض الشام وغيرها؛ فغلبت الروم، وفرح بذلك مشركو قريش؛ لأن المجوس إليهم أقرب من النصارى، لأن كليهما لا كتاب له.

واغتم لذلك المؤمنون؛ لأن النصارى إليهم أقرب، لأنهم أهل كتاب، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ؛ فأخبره النبي ﷺ: أن الروم سوف تغلب فارس بعد ذلك، في بضع سنين.

وخاطرهم أبو بكر على هذا قبل تحريم ذلك، وظهرت الروم على فارس بعد ذلك". اهـ

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله في «عيون الرسائل والأجوبة على المسائل» (١/ ٢٦٧-٢٦٨) : "قال تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[المجادلة:٢٢].

فليتأمل من نصح نفسه هذه الآيات الكريمات، وليبحث عما قاله المفسرون وأهل العلم في تأويلها، ولينظر ما وقع من أكثر الناس اليوم؛ فإنه يتبين له -إن وفق وسدد- أنها تتناول من ترك جهادهم، وسكت عن عيبهم، وألقى إليهم السلم؛ فكيف بمن أعانهم، أو جرهم على بلاد أهل الإسلام، أو أثنى عليهم، أو فضَّلهم بالعدل على أهل

الإسلام، واختار ديارهم ومساكنتهم وولايتهم، وأحب ظهورهم؟!

فإن هذا ردة صريحة بالاتفاق، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾[المائدة:٥]". اهـ

الوقوف مع المخالف في حربه على الكافر
لا يعني: إقراره على مخالفته للكتاب والسنة،
ولا بد من الرد على أخطائه،
والرد على المخالف لا يعني: مؤازرة اليهود أو النصارى
وتأييدهم والوقوف معهم ضد المخالف!

فرح المسلمين بنصرة أهل الكتاب على المجوس لا يلزم من ذلك: القبول بما عند أهل الكتاب من كفريات! أو السكوت عن ضلالهم! أو الإقرار بعقائدهم!

ولم يأمرنا الله ﷻ ولا نبيه ﷺ بالسكوت عن ضلالهم أو الأمر بتأجيل الردود! أو تأخير البيان عن وقت الحاجة!!

ولم تأمرنا الشريعة بمداهنة أهل الكفر وأهل البدع والضلال؛ كالرافضة وأذنابهم!!

وما أمر الشرع بمداراة أهل الفرقة والتحزب!! نظرًا لحربهم على الكافر!!

فكل هذا من التلبيس والتدليس على المسلمين؛ فالحق والعدل وسط بين هذا وهذا.

فقد أخرج الترمذي في «سننه» برقم (٢١٨٠): عن أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟

فقال النبي ﷺ: «سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾[الأعراف:١٣٨]، والذي نفسي بيده! لتركبن سنة من كان قبلكم»[صححه المحدث الألباني].

ولم يقل النبي عليه الصلاة والسلام: "نحن الآن في معركة، ولا تتكلموا في أخطاء إخوانكم، ولا تنبهوهم على زلاتهم"، وما أشبه، بل كان من النبي عليه الصلاة والسلام التنبيه والتحذير من طلبهم في أن يجعل لهم

ذات أنواط -وهو طلب منافٍ للتوحيد!-، والنبي ﷺ عذرهم بجهلهم، ولم يكفرهم، وفي المقابل: نبههم وحذرهم وأرشدهم!!

فـما يدندن به الكثير من الحزبيين أو بعض إخواننا المتعاطفين؛ الذين تغلبهم العاطفة الجياشة النابعة من صدقهم -مما نعذرهم بذلك- بعدم الكلام عن أخطاء حماس والرد على منهجهم! دندنة باطلة، يردها العقل والشرع.

مع التنبيه: أن الرد بالعلم والحلم بالتي هي أحسن بالتي هي أقوم؛ بالحكمة والموعظة الحسنة، دون طعن أو تجريح أو ذم وتقبيح!!

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «التوحيد» (ص ١٥):

"(باب: من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.

وقول الله -تعالى-: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩﴾ [النجم:١٩] الآيات.

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة؛ فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟

فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم -والذي نفسي بيده!- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف:١٣٨]، لتركبن سنن من كان قبلكم». رواه الترمذي وصححه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك؛ لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا؛ فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر! إنها السنن، لتتبعن سنن من كان قبلكم»؛ فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير -وهو المقصود-: أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾[الأعراف:١٣٨].

التاسعة: أن نفي هذا معنى (لا إله إلا الله)، مع دقته

وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفُتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه: أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: (ونحن حدثاء عهد بكفر)، فيه: أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب؛ خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية، لقوله: «إنها السنن».

الثامنة عشرة: أن هذا عَلم من أعلام النبوة؛ لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه متقرر عندهم: أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر:

أما «من ربك؟» فواضح، وأما «من نبيك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما «ما دينك؟» فمن قولهم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا ﴾[الأعراف:١٣٨] إلخ.

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يُؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة؛ لقولهم: (ونحن حدثاء عهد بكفر)". اهـ

الدعوة إلى التوحيد
على منهج الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة
والإعداد بالتصفية والتربية:
علاج لضعف المسلمين، وأساس في الإعداد الإيماني

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ
عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ
وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ
١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ
أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾
[الصف: ١٠-١٤].

قال السعدي ﷬ في «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٨٦٠):

"هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين؛ لأعظم تجارة، وأجل مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم.

وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

ومن المعلوم: أن الإيمان التام هو: التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح، ومن أجلّ أعمال الجوارح: الجهاد في سبيل الله؛ فلهذا قال: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم، لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد: نصر دين الله وإعلاء كلمته، وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب،

فإن ذلك، ولو كان كريها للنفوس، شاقًّا عليها؛ فإنه ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾ فإن فيه الخير الدنيوي: من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل، والرزق الواسع، وسعة الصدر وانشراحه.

وفي الآخرة: الفوز بثواب الله، والنجاة من عقابه، ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة...

وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة؛ فذكره بقوله: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾، أي: ويحصل لكم خصلة أخرى تحبونها، وهي: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لكم على الأعداء، يحصل به العز والفرح.

﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾، تتسع به دائرة الإسلام، ويحصل به الرزق الواسع.

فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين.

وأما المؤمنون من غير أهل الجهاد -إذا قام غيرهم بالجهاد-؛ فلم يؤيسهم الله -تعالى- من فضله وإحسانه، بل قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾، أي: بالثواب العاجل والآجل، كل على حسب إيمانه؛ وإن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في سبيل الله؛ كما قال النبي ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله».

ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾، أي: بالأقوال والأفعال، وذلك بالقيام بدين الله، والحرص على إقامته على الغير، وجهاد من عانده ونابذه بالأبدان والأموال، ومن نصر الباطل بما يزعمه من العلم ورد الحق، بدحض حجته، وإقامة الحجة عليه، والتحذير منه.

ومن نصر دين الله: تعلم كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم هيج الله المؤمنين بالاقتداء بمن قبلهم من الصالحين بقوله: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، أي: قال لهم عارضًا ومنهضًا: من يعاونني ويقوم معي في نصرتي لدين الله، ويدخل مدخلي، ويخرج مخرجي؟

فابتدر الحواريون، فقالوا: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾، فمضى عيسى عليه السلام على أمر الله ونصر دينه، هو ومن معه من الحواريين.

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بسبب دعوة عيسى والحواريين.

﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞ﴾ منهم، فلم ينقادوا لدعوتهم، فجاهد المؤمنون الكافرين.

﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾، أي: قويناهم ونصرناهم عليهم.

﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ عليهم، وقاهرين لهم، فأنتم -يا أمة محمد!- كونوا أنصار الله ودعاة دينه ينصركم الله؛ كما نصر من قبلكم، ويظهركم على عدوكم". اهـ

* قال الإمام الألباني رحمه الله في «التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام!» (ص ٦-٩): "يجب العناية والاهتمام بالتوحيد أولًا؛ كما هو منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام:

بالإضافة لما ورد في السؤال -السابق ذكره آنفًا- من سوء واقع المسلمين؛ نقول: إن هذا الواقع الأليم ليس شرًّا مما كان عليه واقع العرب في الجاهلية؛ حينما بعث إليهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لوجود الرسالة بيننا، وكمالها، ووجود الطائفة الظاهرة على الحق؛ والتي تهدي به، وتدعو الناس للإسلام الصحيح: عقيدة، وعبادة، وسلوكًا، ومنهجًا.

ولا شك بأن واقع أولئك العرب في عصر الجاهلية مماثل لما عليه كثير من طوائف المسلمين اليوم!

بناء على ذلك؛ نقول: العلاج هو ذاك العلاج، والدواء هو ذاك الدواء، فبمثل ما عالج النبي ﷺ تلك الجاهلية الأولى؛ فعلى الدعاة الإسلاميين اليوم -جميعهم- أن يعالجوا سوء الفهم لمعنى "لا إله إلا الله"، ويعالجوا واقعهم الأليم بذاك العلاج والدواء نفسه.

ومعنى هذا واضح جدًّا؛ إذا تدبرنا قول الله ﷻ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[الأحزاب:٢١].

فرسولنا ﷺ هو الأسوة الحسنة في معالجة مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر وفي كل وقت وحين، ويقتضي ذلك منا: أن نبدأ بما بدأ به نبينا ﷺ، وهو: إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين أولًا، ومن عباداتهم ثانيًا، ومن سلوكهم ثالثًا.

ولست أعني من هذا الترتيب: فصل الأمر الأول بدءًا بالأهم ثم المهم، ثم ما دونه! وإنما أريد: أن يهتم بذلك المسلمون اهتمامًا شديدًا كبيرًا، وأعني بالمسلمين -بطبيعة الأمر-: الدعاة، ولعل الأصح أن نقول: العلماء منهم؛ لأن الدعاة اليوم -مع الأسف الشديد- يدخل فيهم كل مسلم؛ ولو كان على فقر مدقع من العلم! فصاروا يعدون أنفسهم دعاة إلى الإسلام!

وإذا تذكرنا تلك القاعدة المعروفة -لا أقول: عند العلماء فقط بل عند العقلاء جميعًا- تلك القاعدة التي تقول: "فاقد الشيء لا يعطيه"؛ فإننا نعلم اليوم بأن هناك طائفة كبيرة جدًّا يعدون بالملايين من المسلمين تنصرف الأنظار إليهم حين يطلق لفظة: الدعاة، وأعني بهم: جماعة الدعوة، أو: جماعة التبليغ، ومع ذلك فأكثرهم كما قال الله ﷻ:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧﴾ [الأعراف:١٨٧].

ومعلوم من طريقة دعوتهم أنهم قد أعرضوا بالكلية عن الاهتمام بالأصل الأول -أو بالأمر الأهم- من الأمور التي ذكرت آنفًا، وأعني: العقيدة والعبادة والسلوك، وأعرضوا عن الإصلاح الذي بدأ به الرسول ﷺ، بل بدأ به كل الأنبياء، وقد بيَّنه الله -تعالى- بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فهم لا يعنون بهذا الأصل الأصيل والركن الأول من أركان الإسلام -كما هو معلوم لدى المسلمين جميعًا-، هذا الأصل الذي قام يدعو إليه أول رسول من الرسل الكرام -ألا وهو: نوح ﷺ قرابة- ألف سنة.

والجميع يعلم أن الشرائع السابقة لم يكن فيها من التفصيل لأحكام العبادات والمعاملات ما هو معروف في ديننا هذا؛ لأنه الدين الخاتم للشرائع والأديان، ومع ذلك

فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يصرف وقته وجل اهتمامه للدعوة إلى التوحيد، ومع ذلك أعرض قومه عن دعوته؛ كما بيَّن الله ﷻ ذلك في محكم التنزيل: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[نوح:٢٣].

فهذا يدل دلالة قاطعة على أن أهم شيء ينبغي على الدعاة إلى "الإسلام الحق" الاهتمام به دائمًا هو: الدعوة إلى التوحيد، وهو معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

هكذا كانت سنة النبي ﷺ؛ عملًا وتعليمًا.

أما فعله: فلا يحتاج إلى بحث؛ لأن النبي ﷺ في العهد المكي إنما كان فعله ودعوته محصورة -في الغالب- في دعوة قومه إلى عبادة الله لا شريك له.

أما تعليمًا؛ ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الوارد في

«الصحيحين»: أن النبي ﷺ عندما أرسل معاذًا إلى اليمن قال له: «ليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك...» إلخ الحديث [حديث صحيح: رواه البخاري (١٣٩٥) وفي غير موضع، ومسلم (١٩)، وأبو داود (١٥٨٤)، والترمذي (٦٢٥)، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما]، وهو معلوم ومشهور -إن شاء الله -تعالى-". اهـ

* وقال رحمه الله: في (ص٣١-٣٢): "ولذلك نحن ندندن أبدًا، ونركز دائمًا حول النقطتين الأساسيتين اللتين هما قاعدة التغيير الحق، وهما: التصفية والتربية.

فلا بد من الأمرين معًا: التصفية والتربية، فإن كان هناك نوع من التصفية في بلد؛ فهو في العقيدة، وهذا -بحد ذاته- يعتبر عملًا كبيرًا وعظيمًا؛ أن يحدث في جزء من المجتمع الإسلامي الكبير -أعني: شعبًا من الشعوب-.

أما العبادة؛ فتحتاج إلى أن تتخلص من المذهبية

الضيقة، والعمل على الرجوع إلى السنة الصحيحة، فقد يكون هناك علماء أجلاء فهموا الإسلام فهمًا صحيحًا من كل الجوانب، لكني لا أعتقد أن فردًا أو اثنين أو ثلاثة أو عشرة أو عشرين يمكنهم أن يقوموا بواجب التصفية، تصفية الإسلام من كل ما دخل فيه؛ سواء في العقيدة، أو العبادة، أو السلوك.

إنه لا يستطيع أن ينهض بهذا الواجب أفراد قليلون يقومون بتصفية ما علق به من كل دخيل، ويربوا من حولهم تربية صحيحة سليمة؛ فالتصفية والتربية الآن مفقودتان.

ولذلك؛ سيكون للتحرك السياسي في أي مجتمع إسلامي لا يحكم بالشرع: آثار سيئة قبل تحقيق هاتين القضيتين الهامتين.

أما النصيحة؛ فهي تحل محل التحرك السياسي في أي بلد يحكم بالشرع؛ من خلال المشورة، أو من خلال إبدائها

بالتي هي أحسن بالضوابط الشرعية، بعيدًا عن لغة الإلزام أو التشهير، فالبلاغ يقيم الحجة ويبرئ الذمة.

ومن النصح -أيضًا-: أن نشغل الناس فيما ينفعهم؛ بتصحيح العقيدة، والعبادة، والسلوك، والمعاملات.

وقد يظن بعضهم: أننا نريد تحقيق التربية والتصفية في المجتمع الإسلامي! كل هذا ما لا نفكر فيه، ولا نحلم به في المنام؛ لأن هذا تحقيقه مستحيل؛ ولأن الله ﷻ يقول في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾[هود:١١٨].

وهؤلاء لا يتحقق فيهم قول ربنا -تعالى- هذا؛ إلا إذا فهموا الإسلام فهمًا صحيحًا، وربوا أنفسهم وأهليهم ومن كان حولهم على هذا الإسلام الصحيح". اهـ

الاجتماع على منهج الكتاب والسنة: رحمة، والتحزب والفرقة: عذاب

قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود:١١٩].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «الجماعة: رحمة، والفُرقة: عذاب». [صححه المحدث الألباني في «الصحيحة» (٦٦٧)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٣١٠): "وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود:١١٨-١١٩]، أَيْ: وَلَا يَزَالُ الْخُلْفُ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَدْيَانِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِ مِلَلِهِمْ وَنِحَلِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَآرَائِهِمْ.

وقال عِكْرِمَةُ: مُخْتَلِفِينَ فِي الْهُدَى، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مُخْتَلِفِينَ فِي الرِّزْقِ؛ يُسَخِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَالْمَشْهُورُ الصَّحِيحُ: الْأَوَّلُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود: ١١٩]، أَيْ: إِلَّا الْمَرْحُومِينَ مِنْ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ؛ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِمَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الدِّينِ، أَخْبَرَتْهُمْ بِهِ رُسُلُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبُهُمْ؛ حَتَّى كَانَ النَّبِيُّ وَخَاتَمِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، فَاتَّبَعُوهُ وَصَدَّقُوهُ وَوَازَرُوهُ؛ فَفَازُوا بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّهُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ فِي «الْمَسَانِيدِ» وَ«السُّنَنِ» مِنْ طُرُقٍ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا: «إِنَّ الْيَهُودَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ النَّصَارَى افْتَرَقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً»؛ قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٩٢-٩٣): "وَأَمَّا (رَأْسُ الْحِزْبِ)؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ الطَّائِفَةِ

التِي تتَحَزَّبُ، أَيْ: تَصِيرُ حِزْبًا.

فَإِنْ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ؛ فَهُمْ مُؤْمِنُونَ، لَهُمْ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ.

وَإِنْ كَانُوا قَدْ زَادُوا فِي ذَلِكَ وَنَقَصُوا، مِثْلَ: التَّعَصُّبِ لِمَنْ دَخَلَ فِي حِزْبِهِمْ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي حِزْبِهِمْ؛ سَوَاءٌ كَانَ عَلَى الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَهَذَا مِنَ التَّفَرُّقِ الَّذِي ذَمَّهُ الله -تعالى- وَرَسُولُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَمَرَا بِالْجَمَاعَةِ وَالائْتِلَافِ، وَنَهَيَا عَنِ التَّفْرِقَةِ وَالِاخْتِلَافِ، وَأَمَرَا بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَنَهَيَا عَنِ التَّعَاوُنِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ -تَعَالَى- عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ

سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ صَلَّى اللهُ -تَعَالَى- عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ". اهـ

وقال ﵀ في (١/ ١٧): "﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾[المؤمنون:٥٢-٥٣].

فَظَهَرَ أَنَّ سَبَبَ الِاجْتِمَاعِ وَالْأُلْفَةِ: جَمْعُ الدِّينِ؛ وَالْعَمَلُ بِهِ كُلِّهِ، وَهُوَ: عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا أَمَرَ بِهِ بَاطِنًا، وَظَاهِرًا.

وَسَبَبُ الْفُرْقَةِ: تَرْكُ حَظٍّ مِمَّا أُمِرَ الْعَبْدُ بِهِ، وَالْبَغْيُ بَيْنَهُمْ.

وَنَتِيجَةُ الْجَمَاعَةِ: رَحْمَةُ اللَّهِ، وَرِضْوَانُهُ، وَصَلَوَاتُهُ، وَسَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبَيَاضُ الْوُجُوهِ.

وَنَتِيجَةُ الْفُرْقَةِ: عَذَابُ اللَّهِ، وَلَعْنَتُهُ، وَسَوَادُ الْوُجُوهِ،

وَبَرَاءَةُ الرَّسُولِ ﷺ مِنْهُمْ.

وَهذَا أَحَدُ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الْإِجْمَاعَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ، فَإِنَّهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا كَانُوا مُطِيعِينَ لِلَّهِ بِذَلِكَ مَرْحُومِينَ، فَلَا تَكُونُ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ: بِفِعْلِ لَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ بِهِ مِنْ اعْتِقَادٍ، أَوْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ.

فَلَوْ كَانَ الْقَوْلُ أَوْ الْعَمَلُ الَّذِي اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ لَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ بِهِ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ طَاعَةً لِلَّهِ، وَلَا سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ". اهـ

وقال رحمه الله في (٣/ ١٨١-١٨٢): "وَقَدْ أَحْضَرْت مَا كَتَبْته مِنْ الْجَوَابِ عَنْ أَسْئِلَتِهِمْ الْمُتَقَدِّمَةِ، الَّذِي طَلَبُوا تَأْخِيرَهُ إلَى الْيَوْمِ: حَمِدْت اللَّهَ بِخُطْبَةِ الْحَاجَةِ: خُطْبَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه؛ ثُمَّ قُلْت: إنَّ الله -تعالى- أَمَرَنَا بِالْجَمَاعَةِ والائتلاف؛ وَنَهَانَا عَنْ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ؛ وَقَالَ لَنَا فِي الْقُرْآنِ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[الأنعام:

١٥٩]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[آل عمران:١٠٥].

وَرَبُّنَا وَاحِدٌ؛ وَكِتَابُنَا وَاحِدٌ؛ وَنَبِيُّنَا وَاحِدٌ، وَأُصُولُ الدِّينِ لَا تَحْتَمِلُ التَّفَرُّقَ وَالِاخْتِلَافَ.

وَأَنَا أَقُولُ مَا يُوجِبُ الْجَمَاعَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ السَّلَفِ". اهـ

وجوب الإعداد المادي من العدة والسلاح قبل الدخول في الحروب

قال الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾[الأنفال:٦٠].

وعن عُقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقْرَأُ: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ -الْآيَةَ-﴾، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[«صحيح مسلم» (١٩١٧)].

قال الشيخ السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٣٢٤): "﴿وَأَعِدُّواْ﴾: لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم.

﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾، أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية، وأنواع الأسلحة، ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك: أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات؛ من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير.

ولهذا قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ: الرَّمْيُ»، ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾، وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي: إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته.

فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابًا منها؛ كالسيارات

البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد؛ كانت مأمورًا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة؛ وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به؛ فهو واجب.

وقوله: ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾: ممن تعلمون أنهم أعداؤكم.

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾: ممن سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به.

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾: فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك: النفقات المالية في جهاد الكفار، ولهذا قال تعالى مرغبًا في ذلك: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قليلًا كان أو كثيرًا.

﴿يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾: أجره يوم القيامة مضاعفًا أضعافًا كثيرة؛

حتى إن النفقة في سبيل الله تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ٦٠﴾، أي: لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئًا". اهـ

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في «نيل الأوطار» (٨/ ٩٥-٩٦): "قَوْلُهُ: «أَلَا إنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: إنَّمَا فَسَّرَ الْقُوَّةَ بِالرَّمْيِ؛ وَإِنْ كَانَتْ الْقُوَّةُ تَظْهَرُ بِإِعْدَادِ غَيْرِهِ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ؛ لِكَوْنِ الرَّمْيِ أَشَدَّ نِكَايَةً فِي الْعَدُوِّ وَأَسْهَلَ مُؤْنَةً لَهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُرْمَى رَأْسُ الْكَتِيبَةِ فَيُصَابُ فَيَنْهَزِمُ مَنْ خَلْفَهُ. اهـ

وَكَرَّرَ ذَلِكَ لِلتَّرْغِيبِ فِي تَعَلُّمِهِ وَإِعْدَادِ آلَاتِهِ.

وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الِاشْتِغَالِ بِتَعَلُّمِ آلَاتِ الْجِهَادِ، وَالتَّمَرُّنِ فِيهَا، وَالْعِنَايَةِ فِي إعْدَادِهَا؛ لِيَتَمَرَّنَ بِذَلِكَ عَلَى الْجِهَادِ، وَيَتَدَرَّبَ فِيهِ، وَيُرَوِّضَ أَعْضَاءَهُ". اهـ

قال الإمام الصنعاني رحمه الله في «سبل السلام» (٢/ ٥٠٤-٥٠٥): "أَفَادَ الْحَدِيثُ: تَفْسِيرَ الْقُوَّةِ فِي الْآيَةِ بِالرَّمْيِ بِالسِّهَامِ؛ لِأَنَّهُ الْمُعْتَادُ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ، وَيَشْمَلُ: الرَّمْيَ بِالْبَنَادِقِ لِلْمُشْرِكِينَ وَالْبُغَاةِ.

وَيُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ: شَرْعِيَّةُ التَّدْرِيبِ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْإِعْدَادَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الِاعْتِيَادِ؛ إِذْ مَنْ لَمْ يُحْسِنْ الرَّمْيَ لَا يُسَمَّى مُعِدًّا بِالْمَرَّةِ". اهـ

مراتب الجهاد

قال الإمام رحمه الله ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٩-١٠):

"فالجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

فجهاد النفس أربع مراتب أيضًا:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق؛ الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه؛ وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه؛ وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع؛ صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى: ربانيًّا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات.

فصل:

وأما جهاد الشيطان؛ فمرتبتان:

إحداهما: جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

فالجهاد الأول يكون بعده اليقين.

والثاني: يكون بعده الصبر.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]، فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

فصل:

وأما جهاد الكفار والمنافقين؛ فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

فصل:

وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات؛ فثلاث مراتب: الأولى: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه.

فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد". اهـ

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «شرح رياض الصالحين» (٥/ ٤١٣-٤١٥): "والعلم: جهاد، جهاد في سبيل الله، وعليه يبنى الجهاد وسائر الإسلام؛ لأن من لا يعلم لا يمكن أن يعمل على الوجه المطلوب.

ولهذا قال الله -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢]، يعني: لولا نفر بالجهاد من المؤمنين من كل فرقة منهم طائفة، وقعدت طائفة أخرى.

﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ أي: الطائفة القاعدون ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾.

﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾، أي: رجعوا من الغزو، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

فجعل الله -تعالى- الفقه في دين الله معادلًا للجهاد في

سبيل الله، بل أولى منه؛ لأنه لا يمكن أن يجاهد المجاهد ولا أن يصلي المصلي، ولا أن يزكي المزكي، ولا أن يصوم الصائم، ولا أن يحج الحاج، ولا أن يعتمر المعتمر، ولا أن يأكل الآكل، ولا أن يشرب الشارب، ولا أن ينام النائم، ولا أن يستيقظ المستيقظ؛ إلا بالعلم، فالعلم هو أصل كل شيء، ولذلك قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[متفق عليه].

ولا فرق بين المجاهد الذي يسوي قلل قوسه، وبين طالب العلم الذي يستخرج المسائل العلمية من بطون الكتب، كل منهم يعمل للجهاد في سبيل الله وبيان شريعة الله لعباد الله، ولهذا أعقب المؤلف رحمه الله (باب الجهاد) بـ (باب العلم)؛ ليبين أنه مثله، بل إن بعض العلماء فضله على الجهاد في سبيل الله.

والصحيح: أن في ذلك تفصيلًا، فمن الناس من يكون

الجهاد في حقه أفضل، ومن الناس من يكون طلب العلم في حقه أفضل.

فإذا كان الرجل قويًّا شجاعًا مقدامًا، لكنه في العلم بضاعته مزجاة، قليل الحظ، قليل الفهم يصعب عليه تلقي العلم؛ فهنا نقول: الجهاد في حقه أفضل.

وإذا كان بالعكس؛ رجل ليس عنده تلك القوة البدنية أو الشجاعة القلبية، لكن عنده حفظًا وفهمًا واجتهادًا؛ فهذا طلب العلم في حقه أفضل.

فإن تساوى الأمران؛ فإن من أهل العلم من رجح طلب العلم؛ لأنه أصل، ولأنه ينتفع به الناس كلهم: القاصي والداني، وينتفع به من كان حيًّا ومن يولد بعد، وينتفع به صاحبه في حياته وبعد مماته؛ كما قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[«صحيح مسلم» (١٦٣١)]". اهـ

البدع والمعاصي أساس ضعف المسلمين وسبب هزيمتهم في الحروب

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٤٠): "وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، والسديِّ: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾، أَيْ: بِسَبَبِ عِصْيَانِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَمَرَكُمْ أَنْ لَا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ؛ فَعَصَيْتُمْ، يَعْنِي بِذَلِكَ: الرُّمَاةَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٦٥﴾، أَيْ: وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، لَا مُعَقب لِحُكْمِهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٦]، أَيْ: فِرَارُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَدُوِّكُمْ وَقَتْلُهُمْ لِجَمَاعَةٍ مِنْكُمْ وَجِرَاحَتُهُمْ لِآخَرِينَ؛ كَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٦٦﴾ [آل عمران:١٦٦]، أَيِ: الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا". اهـ

وقال ﵀ في (٢/ ١٢٨): "ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾، أَيْ: بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا، وَإِنَّ مِنْ جَزَاءِ السيئة السَّيِّئَةَ بَعْدَهَا". اهـ

قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٣/ ١٩٦):

"فَصْلٌ: فِي ذِكْرِ بَعْضِ الْحِكَمِ وَالْغَايَاتِ الْمَحْمُودَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ.

وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ سبحانه وتعالى إِلَى أُمَّهَاتِهَا وَأُصُولِهَا فِي سُورَةِ (آلِ عِمْرَانَ)؛ حَيْثُ افْتَتَحَ الْقِصَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾[آل عمران:١٢١] إِلَى تَمَامِ سِتِّينَ آيَةً.

فَمِنْهَا: تَعْرِيفُهُمْ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمَعْصِيَةِ وَالْفَشَلِ وَالتَّنَازُعِ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ إِنَّمَا هُوَ بِشُؤْمِ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾[آل عمران:١٥٢].

فَلَمَّا ذَاقُوا عَاقِبَةَ مَعْصِيَتِهِمْ لِلرَّسُولِ، وَتَنَازُعِهِمْ، وَفَشَلِهِمْ؛ كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدَّ حَذَرًا وَيَقَظَةً، وَتَحَرُّزًا مِنْ أَسْبَابِ الْخِذْلَانِ". اهـ

وقال في (٣/ ٢٠٢): "ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَمَّا اسْتَنْصَرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهُمْ عَلَى قَوْمِهِمْ؛ مِنَ اعْتِرَافِهِمْ، وَتَوْبَتِهِمْ، وَاسْتِغْفَارِهِمْ، وَسُؤَالِهِمْ رَبَّهُمْ: أَنْ يُثَبِّتَ أَقْدَامَهُمْ وَأَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ؛ فَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٧-١٤٨].

لَمَّا عَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَدُوَّ إِنَّمَا يُدَالُ عَلَيْهِمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَسْتَزِلُّهُمْ وَيَهْزِمُهُمْ بِهَا، وَأَنَّهَا نَوْعَانِ: تَقْصِيرٌ فِي حَقٍّ، أَوْ تَجَاوُزٌ لِحَدٍّ، وَأَنَّ النُّصْرَةَ مَنُوطَةٌ بِالطَّاعَةِ؛ قَالُوا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾.

ثُمَّ عَلِمُوا أَنَّ رَبَّهُمْ ﷻ إنْ لَمْ يُثَبِّتْ أَقْدامَهُمْ وَيَنْصُرْهُمْ؛ لَمْ يَقْدِرُوا هُمْ عَلَى تَثْبِيتِ أَقْدَامِ أَنْفُسِهِمْ وَنَصْرِهَا عَلَى أَعْدَائِهِمْ؛ فَسَأَلُوهُ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ بِيَدِهِ دُونَهُمْ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ وَيَنْصُرْهُمْ؛ لَمْ يَثْبُتُوا وَلَمْ يَنْتَصِرُوا، فَوَفَّوُا الْمَقَامَيْنِ حَقَّهُمَا: مَقَامَ الْمُقْتَضِي، وَهُوَ: التَّوْحِيدُ وَالِالْتِجَاءُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَمَقَامَ إِزَالَةِ الْمَانِعِ مِنَ النَّصْرَةِ، وَهُوَ: الذُّنُوبُ وَالْإِسْرَافُ.

ثُمَّ حَذَّرَهُمْ سُبْحَانَهُ مِنْ طَاعَةِ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ إِنْ أَطَاعُوهُمْ خَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَفِي ذَلِكَ تَعْرِيضٌ بِالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَطَاعُوا الْمُشْرِكِينَ لَمَّا انْتَصَرُوا وَظَفِرُوا يَوْمَ أُحُدٍ.

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ، فَمَنْ وَالَاهُ فَهُوَ الْمَنْصُورُ". اهـ

وقال رحمه الله في (٣/ ٢١٥): "فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ سَبَبَ الْمُصِيبَةِ

مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ؛ لِيَحْذَرُوا، وَأَنَّهَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ؛ لِيُوَحِّدُوا وَيَتَّكِلُوا، وَلَا يَخَافُوا غَيْرَهُ.

وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْحِكَمِ؛ لِئَلَّا يَتَّهِمُوهُ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَلِيَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَسَلَّاهُمْ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِمَّا هُوَ أَجَلُّ قَدْرًا وَأَعْظَمُ خَطَرًا مِمَّا فَاتَهُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ". اهـ

وقال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (١١/ ٢٤١) -لما استحوذ الفرنج على بيت المقدس بالتعاون مع الرافضة سنة (٣٥١هـ)-: "والناس معهم في حصر عظيم، وضيق من الدين، وأهل هذه المدن التي في يد المسلمين في خوف شديد في ليلهم ونهارهم من الفرنج، فإنا لله وإنا إليه راجعون!

وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب، وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء". اهـ

قال الحافظ ابن حجر ﵀ في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٧/ ٣٤٧): "قال العلماء: وكان في قصة أُحُد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحِكَم الربانية أشياء عظيمة، منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشؤم ارتكاب النهي؛ لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول ﷺ ألا يبرحوا منه". اهـ

القتال لا يكون إلا لإعلاء كلمة اللَّه، ولا يكون لعصبية أو جاهلية أو وطنية أو حزبية أو تحت راية عمية!!

عن أبي موسى ﵁ قال: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ؛ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟

قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[متفق عليه].

قال الإمام النووي ﵀ في «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ٤٩): "قَوْلُهُ ﷺ: «مَنِ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّـهِ هِـيَ الْعُلْيَـا؛ فَهُوَ فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ»، فِيـهِ: بَيَـانُ أَنَّ الْأَعْـمَالَ إِنَّـمَا تُحْسَبُ بِالنِّيَّاتِ الصَّالِحَةِ، وَأَنَّ الْفَضْلَ الَّذِي وَرَدَ فِي الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَخْتَصُّ بِمَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا.

قَوْلُـهُ: «الرَّجُـلُ يُقَاتِـلُ لِلـذِّكْرِ»، أَيْ: لِيَـذْكُرَهُ النَّـاسُ بِالشَّجَاعَةِ -وَهُوَ بِكَسْرِ الذَّالِ-.

قَوْلُهُ: «وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً»، هِيَ: الْأَنَفَـةُ وَالْغَيْـرَةُ، وَالْمُحَامَـاةُ عَنْ عَشِيرَتِهِ". اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري شرح صـحيح البخاري» (٦/ ٢٩): "وَالْحَاصِلُ مِمَّا ذُكِرَ: أَنَّ الْقِتَالَ مَنْـشَؤُهُ الْقُوَّةُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْقُوَّةُ الْغَضَبِيَّةُ وَالْقُـوَّةُ الـشَّهْوَانِيَّةُ، وَلَا يَكُـونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا الْأَوَّلُ.

وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: إِنَّمَا عَـدَلَ النَّبِـيُّ ﷺ عَـنْ لَفْـظِ جَـوَابِ الـسَّائِلِ لِأَنَّ الْغَـضَبَ وَالْحَمِيَّـةَ قَـدْ يَكُونَـانِ لِلَّـهِ، فَعَـدَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ إِلَى لَفْظٍ جَامِعٍ؛ فَأَفَـادَ دَفْـعَ الْإِلْبَـاسِ، وَزِيَادَةَ الْإِفْهَامِ.

وَفِيهِ: بَيَانُ أَنَّ الْأَعْمَالَ إِنَّمَا تُحْتَسَبُ بِالنِّيَّـةِ الـصَّالِحَةِ، وَأَنَّ الْفَضْلَ الَّذِي وَرَدَ فِي الْمُجَاهِدِ يَخْتَصُّ بِمَنْ ذُكِرَ، وَقَدْ تَقَـدَّمَ

بَعْضُ مَبَاحِثِهِ فِي أَوَاخِرِ (كِتَابِ الْعِلْمِ).

وَفِيهِ: جَوَازُ السُّؤَالِ عَنِ الْعِلَّةِ، وَتَقَدُّمُ الْعِلْمِ عَلَى الْعَمَلِ.

وَفِيهِ: ذَمُّ الْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا وَعَلَى الْقِتَالِ لِحَظِّ النَّفْسِ فِي غَيْرِ الطَّاعَةِ". اهـ

قال الشيخ ابن عثيمين في «شرح رياض الصالحين» (١/ ٣٣-٣٤): "قال أهل العلم: ويجب على المسلمين أن يكون منهم جهاد في العام مرة واحدة؛ يجاهد أعداء الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، لا لأجل أن يدافعوا عن الوطن من حيث إنه وطن؛ لأن الدفاع عن الوطن من حيث هو وطن يكون من المؤمن والكافر؛ حتى الكفار يدافعون عن أوطانهم، لكن المسلم يدافع عن دين الله، فيدافع عن وطنه؛ لا لأنه وطنه مثلًا، ولكن لأنه بلد إسلامي؛ فيدافع عنه حماية للإسلام الذي حل في هذه البلد.

ولذلك يجب علينا في مثل هذه الظروف التي نعيشها

اليوم؛ يجب علينا: أن نذكر جميع العامة بأن الدعوة إلى تحرير الوطن وما أشبه ذلك؛ دعوة غير مناسبة، وأنه يجب أن يعبأ الناس تعبئة دينية، ويقال: إننا ندافع عن ديننا قبل كل شيء؛ لأن بلدنا بلد دين، بلد إسلام يحتاج إلي حماية ودفاع، فلا بد أن ندافع عنها بهذه النية.

أما الدفاع بنية الوطنية، أو بنية القومية؛ فهذا يكون من المؤمن والكافر، ولا ينفع صاحبه يوم القيامة، وإذا قتل وهو يدافع بهذه النية فليس بشهيد؛ لأن الرسول ﷺ سئل عن الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل ليرى مكانه؛ أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ فهو في سبيل الله».

انتبه إلى هذا القيد: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا»؛ لا لأنه وطنه.

وإذا كنت تقاتل لوطنك؛ فأنت والكافر سواء، لكن

قلت: لتكون كلمة الله هي العليا، ممثلة في بلـدك؛ لأن بلـدك بلد إسلام؛ ففي هـذه الحـال يكـون القتـال قتـالًا في سـبيل الله". ا هـ

وقال ﵀ في (١/ ٣٥): "فانظر كيـف اشـترط النبـي ﷺ للشهادة: أن يكون الإنسان يقاتل في سبيل الله.

والقتـال في سـبيل الله: أن يقاتـل لتكـون كلمـة الله هـي العليا.

فيجـب علـى طلبـة العلـم أن يبينـوا للنـاس: أن القتـال للوطن ليس قتالًا صحيحًا، وإنما يقاتل لتكون كلمة الله هـي العليا، وأقاتل عن وطني؛ لأنه وطـن إسـلامي، فأحميـه مـن أعدائه وأعداء الإسلام.

فبهذه النية تكون النية صحيحة، والله الموفق". ا هـ

وقال ﵀ في (١/ ٦٤): "قوله: «من قاتل لتكون» في هـذا إخلاص النية لله ﷻ.

وهذا الذي ساق المؤلف الحديث من أجله: إخلاص النية.

فقد سئل الرسول ﷺ عن الذي يقاتل على أحد الوجوه الثلاثة: شجاعة، وحمية، وليري مكانة؟

أما الذي يقاتل شجاعة؛ فمعناه: أنه رجل شجاع، يحب القتال؛ لأن الرجل الشجاع متصف بالشجاعة، والشجاعة لا بد لها من ميدان تظهر فيه، فتجد الشجاع يحب أن الله ييسر له قتالًا ويظهر شجاعته؛ فهو يقاتل لأنه شجاع، يحب القتال.

الثاني: يقاتل حمية؛ حمية على قوميته، حمية على قبيلته، حمية على وطنه، حمية لأي عصبية كانت.

الثالث: يقاتل ليرى مكانه، أي: ليراه الناس ويعرفوا أنه شجاع.

فعدل النبي ﷺ عن ذلك، وقال كلمة موجزة ميزانًا

للقتال؛ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ فهو في سبيل الله».

وعدل النبي ﷺ عن ذكر هذه الثلاثة ليكون أعم وأشمل؛ لأن الرجل ربما يقاتل من أجل الاستيلاء على الأوطان والبلدان، يقاتل من أجل أن يحصل على امرأة يسبيها من هؤلاء القوم، والنيات لا حد لها.

لكن هذا الميزان الذي ذكره النبي ﷺ: ميزان تام وعدل.

ومن هنا نعلم أنه يجب أن تعدل اللهجة التي يتفوه بها اليوم كثير من الناس.

ولذلك؛ على الرغم من قوة الدعاية للقومية العربية لم نستفد منها شيئًا، فاليهود استولوا على بلادنا، ونحن تفككنا، دخل في ميزان هذه القومية قوم كفار؛ من النصارى وغير النصارى، وخرج منها قوم مسلمون من غير العرب، فخسرنا ملايين العالم، ملايين الناس؛ من أجل هذه القومية!

ودخل فيها قوم لا خير فيهم، قوم إذا دخلوا في شـيء كتـب عليه الخذلان والخسارة!

واللهجة الثانية: قوم يقاتلون للوطن، ونحن إذا قاتلنا من أجل الوطن لم يكن هناك فرق بين قتالنا وبـين قتـال الكـافر عن وطنه؛ حتى الكافر يقاتل عن وطنه ويدافع عن وطنه.

والذي يقتل من أجل الدفاع عن الـوطن -فقـط- لـيس بشهيد.

ولذلك الواجب علينا ونحن مسلمون، وفي بلد إسـلامي -ولله الحمد، ونسأل الله أن يثبتنا على ذلك-، الواجب: أن نقاتل من أجل الإسلام في بلادنا.

وانتبه للفرق: نقاتل من أجل الإسلام في بلادنا، فنحمـي الإسلام الذي في بلادنا، ونحمي الإسلام، لو كنـا في أقـصى الشرق أو الغـرب، لـو كانـت بلادنـا في أقـصى الـشرق أو الغرب، قاتلنا من أجل الإسلام في وطننا، أو من أجل وطننـا

لأنه إسلامي؛ ندافع عن الإسلام الذي فيه.

أما مجرد الوطنية؛ فإنها نية باطلة، لا تفيد الإنسان شيئًا.

ولا فرق بين الإنسان الذي يقول: إنه مسلم، والإنسان الذي يقول: إنه كافر؛ إذا كان القتال من أجل الوطن لأنه وطن.

وما يذكر من أن: (حب الوطن من الإيمان)، وأن ذلك حديث عن رسول الله ﷺ: كذب.

حب الوطن إن كان لأنه وطن إسلامي؛ فهذا تحبه لأنه إسلامي، ولا فرق بين وطنك الذي هو مسقط رأسك، أو الوطن البعيد من بلاد المسلمين؛ كلها وطن الإسلام يجب أن نحميه.

على كل حال؛ يجب أن نعلم أن النية الصحيحة هي: أن نقاتل من أجل الدفاع عن الإسلام في بلدنا، أو من أجل وطننا لأنه وطن إسلامي؛ لا لمجرد الوطنية". اهـ

وقد ذكرت في «الأربعين الأمنية» (ص ٥٣-٥٤):

"الحديث السادس والعشرون:

النهي عن الجهاد تحت راية عُميَّة

والخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ؛ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ؛ فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ»[أخرجه مسلم (١٨٤٨)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٤٨-٢٥١): "ذكر ﷺ في هذا الحديث الأقسام الثلاثة التي يعقد لها الفقهاء: (باب قتال أهل القبلة؛

من البغاة والعداة وأهل العصبية).

فالقسم الأول: الخارجون عن طاعة السلطان، فنهى عن نفس الخروج عن الطاعة والجماعة، وبين أنه إن مات، ولا طاعة عليه؛ مات ميتة جاهلية، فإن أهل الجاهلية من العرب ونحوهم لم يكونوا يطيعون أميرًا عامًّا؛ على ما هو معروف من سيرتهم.

ثم ذكر الذي يقاتل تعصبًّا لقومه، أو أهل بلده، ونحو ذلك، وسمى الراية: (عمية)؛ لأنه الأمر الأعمى الذي لا يُدرى وجهه! فكذلك قتال العصبية يكون عن غير علم بجواز قتال هذا.

وجعل قتلة المقتول: قتلة جاهلية؛ سواء غضب بقلبه، أو دعا بلسانه، أو ضرب بيده، وقد فسر ذلك فيما رواه مسلم -أيضًا- عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ،

وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ»، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

والقسم الثالث: الخوارج على الأمة؛ إما من العُداة الذين غرضهم: الأموال؛ كقطاع الطريق ونحوهم، أو غرضهم: الرياسة؛ كمن يقتل أهل المصر الذين هم تحت حكم غيره مطلقًا، وإن لم يكونوا مقاتلة، أو من الخارجين عن السنة الذين يستحلون دماء أهل القبلة مطلقًا كالحرورية؛ الذين قتلهم علي رضي الله عنه.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم سمى الميتة والقتلة: (مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) و(قَتْلَةً جَاهِلِيَّةً) على وجه الذم لها والنهي عنها، وإلا لم يكن قد زجر عن ذلك، فعلم أنه كان قد قرر عند أصحابه: أن ما أضيف إلى الجاهلية من ميتة أو قتلة ونحو ذلك؛ فهو مذموم، منهي عنه، وذلك يقتضي ذم كل ما كان من أمور الجاهلية، وهو المطلوب". اهـ

أهمية الدعاء في الحروب،

وبيان فساد قول أهل الضلال: أن الدعاء سلاح الضعفاء

قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر:٦٠].

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين، فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ؛ اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»[متفق عليه].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين غداة؛ على رعل وذكوان وعصية؛ عصت الله ورسوله".

قال أنس: "أنزل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآن قرأناه،

ثم نسخ بعد: (بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه)"[متفق عليه].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه مستقبل القبلة؛ حتى سقط رداؤه عن منكبيه.

فأتاه أبو بكر؛ فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾[الأنفال:٩]، فأمده الله بالملائكة.

قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه؛ إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه؛ فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه؛ كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين... إلخ الحديث [«صحيح مسلم» (١٧٦٣)].

وقال ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟» [«صحيح البخاري» (٢٨٩٦)].

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٤٧-٤٨): "(باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو):

ذكر في الباب دعاءه ﷺ عند لقاء العدو، وقد اتفقوا على استحبابه.

قوله ﷺ: «اللهم اهزمهم وزلزلهم»، أي: أزعجهم وحركهم بالشدائد، قال أهل اللغة: الزلزال والزلزلة: الشدائد التي تحرك الناس.

قوله: "أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحد: «اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض»، قال العلماء: فيه التسليم لقدر الله -تعالى-، والرد على غلاة القدرية الزاعمين: أن الشر غير مراد ولا مقدر -تعالى الله عن قولهم!-.

وهذا الكلام متضمن -أيضًا-: لطلب النصر.

وجاء في هذه الرواية: "أنه ﷺ قال هذا يوم أحد"، وجاء بعده "أنه قاله يوم بدر"، وهو المشهور في كتب السير والمغازي، ولا معارضة بينهما؛ فقاله في اليومين، والله أعلم". اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٦/ ١٥٧): "ثم قال «اللهم منزل الكتاب» إلخ:

أشار بهذا الدعاء إلى وجوه النصر عليهم؛ فبالكتاب: إلى قوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾ [التوبة:١٤].

وبمجري السحاب إلى القدرة الظاهرة في تسخير السحاب؛ حيث يحرك الريح بمشيئة الله -تعالى-، وحيث يستمر في مكانه مع هبوب الريح، وحيث تمطر تارة وأخرى لا تمطر، فأشار بحركته إلى إعانة المجاهدين في حركتهم في القتال، وبوقوفه إلى إمساك أيدي الكفار عنهم، وبإنزال المطر إلى غنيمة ما معهم؛ حيث يتفق قتلهم وبعدمه إلى هزيمتهم؛ حيث لا يحصل الظفر بشيء منهم، وكلها أحوال صالحة للمسلمين.

وأشار بهازم الأحزاب: إلى التوسل بالنعمة السابقة،

وإلى تجريد التوكل، واعتقاد أن الله هو المنفرد بالفعل.

وفيه: التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث؛ فإن بإنزال الكتاب حصلت النعمة الأخروية، وهي: الإسلام، وبإجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية، وهي: الرزق، وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ النعمتين، وكأنه قال: (اللهم كما أنعمت بعظيم النعمتين الأخروية والدنيوية وحفظتهما؛ فأبقهما". اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء» (ص ٩):

"وكذلك الدعاء؛ فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف أثره عنه: إما لضعفه في نفسه، بأن يكون دعاء لا يحبه الله، لما فيه من العدوان.

وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًّا، فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفًا.

وإما لحصول المانع من الإجابة: من أكل الحرام، والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو، وغلبتها عليها؛ كما في «مستدرك الحاكم» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»". اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٦/ ٨٩): "قال ابن بطال: تأويل الحديث: أن الضعفاء أشد إخلاصًا في الدعاء، وأكثر خشوعًا في العبادة؛ لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا". اهـ

الجهاد يكون بالنفس والمال واللسان،
وأهمية جهاد الحجة والبرهان

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ٢٠].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ

وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[«صحيح مسلم» (٥٠)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَبِأَيْدِيكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ»[«صحيح سنن النسائي» (٣٠٩٦)].

وبوَّب الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» (٤/ ٢٦):

(بَابُ: فَضْلِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ):

عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ دَعَاهُ خَزَنَةُ الجَنَّةِ، كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ: أَيْ فُلُ هَلُمَّ!».

وفي (٤/ ٢٧):

(بَابُ: فَضْلِ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا أَوْ خَلَفَهُ بِخَيْرٍ):

أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غزَا، وَمَنْ خلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غزَا».

وفي «صحيح مسلم» (٢٤٩٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ».

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٨٤): "ذكر تعالى أصناف المؤمنين، وقسمهم إلى: مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك.

وإلى: أنصار، وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم.

فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، أي: كل منهم أحق بالآخر من كل أحد، ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين

والأنصار؛ كل اثنين أخوان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدمًا على القرابة؛ حتى نسخ الله -تعالى- ذلك بالمواريث، ثبت ذلك في «صحيح البخاري» عن ابن عباس". اهـ

قال الإمام السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص ٣٣٢): "ثم صرح بالفضل؛ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ بالنفقة في الجهاد، وتجهيز الغزاة، ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ بالخروج بالنفس.

﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾، أي: لا يفوز بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب إلا من اتصف بصفاتهم وتخلق بأخلاقهم". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٢٣٠): "والجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس؛ كما

في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٤١] الآية، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾[التوبة:٢٠] الآية، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[الأنفال:٧٢].

وذلك لأن الناس يقاتلون دون أموالهم؛ فإن المجاهد بالمال قد أخرج ماله حقيقة لله، والمجاهد بنفسه لله يرجو النجاة، لا يوافق أنه يقتل في الجهاد.

ولهذا أكثر القادرين على القتال يهون على أحدهم أن يقاتل، ولا يهون عليه إخراج ماله، ومعلوم أنهم كلهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، لكن منهم من كان جهاده بالمال أعظم، ومنهم من كان جهاده بالنفس أعظم". اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٣/ ٥): "وأمره الله -تعالى- بالجهاد من حين بعثه، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[الفرقان:٥١-٥٢].

فهذه سورة مكية، أمر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن.

وكذلك جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة؛ وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾[التحريم:٩]". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣١-٢٣٢): "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب

والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم: واجب؛ باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف؛ فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك: واجب على الكفاية؛ باتفاق المسلمين.

ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء". اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في مقدمته لنونيته «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»: "فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الإيمان! وما أشد الجناية به على السنة والقرآن!

وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن! وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان!

والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان، ولهذا أمر به تعالى في السور المكية؛ حيث لا جهاد باليد، إنذارًا وتعذيرًا؛ فقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[الفرقان: ٥٢].

وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم؛ مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[التوبة:٧٣].

فالجهاد بالعلم والحجة: جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق، و«من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو؛ مات على شعبة من النفاق»[«صحيح مسلم» (١٩١٠)].

وكفى بالعبد عمى وخذلانًا أن يرى عساكر الإيمان وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحرب لأمته، وأعدوا له عدته، وأخذوا مصافهم، ووقفوا مواقفهم، وقد حمي الوطيس، ودارت رحى الحرب، واشتد القتال، وتنادت الأقران: النزال النزال! وهو في الملجأ والمغارات والمدخل، مع الخوالف كمين!". اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٩١-١٩٣): "وإنما جعل طلب العلم من سبيل الله؛ لأن به قوام الإسلام، كما أن قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد.

ولهذا كان الجهاد نوعين:

جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير.

وجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه.

قال تعالى في سورة الفرقان -وهي مكية-: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾[الفرقان:٥١-٥٢].

فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادين.

وهو جهاد المنافقين أيضًا؛ فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين بل كانوا معهم في الظاهر، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة:٧٣ والتحريم:٩].

ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن.

والمقصود: أن سبيل الله هي: الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به إلى الله، ولهذا قال معاذ ﵁: عليكم بطلب العلم؛ فإن تعلمه لله خشية، ومدارسته عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد.

ولهذا يقرن سبحانه بين الكتاب المنزل والحديد الناصر؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[الحديد:٢٥].

فذكر الكتاب والحديد؛ إذ بهما قوام الدين، كما قيل:

فما هو إلا الوحي أوحد مرهف

تميل ظباه أخدعي كل مائل

فهذا شفاء الداء من كل عاقل

وهذا دواء الداء من كل جاهل

ولما كان كل من الجهاد بالسيف والحجة يسمى: "سبيل الله" فسر الصحابة رضي الله عنهم قوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء:٥٩] بالأمراء والعلماء؛ فإنهم المجاهدون في سبيل الله: هؤلاء بأيديهم، وهؤلاء بألسنتهم.

فطلب العلم وتعليمه من أعظم سبيل الله عز وجل.

قال كعب الأحبار: طالب العلم كالغادي الرائح في سبيل الله عز وجل.

وجاء عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال؛ مات وهو شهيد.

وقال سفيان بن عيينة: من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل.

وقال أبو الدرداء: من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهاد؛ فقد نقص عقله ورأيه". اهـ

قال الإمام النووي ﵀ في «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٤٨): "فالمقصود منه: النكاية في الكفار، وقد أمر الله -تعالى- بالجهاد في الكفار، والإغلاظ عليهم، وكان هذا الهجو أشد عليهم من رشق النبل، فكان مندوبًا لذلك مع ما فيه من: كف أذاهم، وبيان نقصهم، والانتصار بهجائهم المسلمين". اهـ

الحكمة والسبب
في تسليط أعداء اللّه على المسلمين

قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [محمد:٤].

وقال النبي ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[«صحيح سنن أبي داود» (٣٤٦٢)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٢٨٥): "قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾، أي: هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾، أي: ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم، ويبلو أخباركم، كما ذكر حكمته في شرعية الجهاد في سورتي: آل عمران وبراءة، في قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾[آل عمران:١٤٢].

وقال ﷻ في سورة براءة: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾[التوبة:١٤-١٥]". اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص ٢٦٦): "قوله: وأي حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب؟

فكم لله في ذلك من حكم باهرة! منها: حصول محبوبة من عبودية الصبر والجهاد، وتحمل الأذى فيه والرضى عنه في السراء والضراء، والثبات على عبوديته وطاعته؛ مع قوة المعارض، وغلبته وشوكته، وتمحيص أوليائه من أحكام البشرية ودواعي الطباع؛ ببذل نفوسهم له، وأذى أعدائه لهم، وتميز الصادق من الكاذب، ومن يريده ويعبده على جميع الحالات ممن يعبده على حرف، وليحصل له مرتبة الشهادة؛ التي هي من أعلى المراتب.

ولا شيء أبر عند الحبيب من بذل محبة نفسه في مرضاته ومجاهدة عدوه، فكم لله في هذا التسليط من نعمة ورحمة وحكمة.

وإذا شئت أن تعلم ذلك؛ فتأمل الآيات من أواخر آل عمران من قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾[آل عمران: ١٣٧] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ

﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾[آل عمران:١٧٥] إلى قوله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[آل عمران:١٧٩]، فكان هذا التمييز من بعض حكم ذلك التسليط، ولولا ذلك التسليط لم تظهر فضيلة الصبر والعفو والحكم وكظم الغيظ، ولا حلاوة النصر والظفر والقهر.

فإن الأشياء يظهر حسنها بأضدادها، ولولا ذلك التسليط لم تستوجب الأعداء المحق والإهانة والكبت، فاستخرج ذلك التسليط من القوة إلى الفعل ما عند أوليائه؛ فاستحقوا كرامتهم عليه، وما عند أعدائه؛ فاستحقوا عقوبتهم عليه.

فكان هذا التسليط مما أظهر حكمته وعزته ورحمته ونعمته في الفريقين، وهو العزيز الحكيم". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٤٩): "فإذا عصى الله ذلك الشخص العاصي؛

عوقب عن ذلك بسلب هذه النعمة، وإن كانت الشريعة لم تنسخ.

يبين هذا: أن في هذا الدعاء سؤال الله بالعفو والمغفرة والرحمة والنصر على الكفار، ومعلوم أن هذا ليس حاصلًا لكل واحد من أفراد الأمة بل منهم من يدخل النار، ومنهم من ينصر عليه الكفار، ومنهم من يسلب الرزق؛ لكونهم فرطوا في طاعة الله ورسوله، فيسلبون ذلك بقدر ما فرطوا أو قصروا". اهـ

وقال ﷺ في (١٣/ ١٨٢): "فلما ظهر بأرض المشرق بسبب مثل هذا الملك ونحوه ومثل هذا العالم ونحوه؛ ما ظهر من الإلحاد والبدع؛ سلط الله عليهم الترك المشركين الكفار، فأبادوا هذا الملك، وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر ويعلم تحقيق ما أخبر الله به في كتابه؛ حيث يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

﴿ٱلۡحَقُّ﴾[فصلت:٥٣]، أي: أن القرآن حق، وقال: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧﴾[الأنبياء:٣٧]، وبسط هذا له موضع آخر.

والمقصود هنا: أن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل، وغيره من الأسباب التي أوجبت إدبارها، وفي آخر دولتهم ظهر الجهم بن صفوان بخراسان، وقد قيل: إن أصله من ترمذ، وأظهر قول المعطلة النفاة الجهمية، وقد قتل في بعض الحروب". ا هـ

السعي في مداواة الجرحى، وإرسال المساعدات والمستشفيات الميدانية إلى أرض المعركة؛ من الجهاد

بوب الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» (٤/ ٣٥):

"(بَابُ: فَضْلِ الخِدْمَةِ فِي الغَزْوِ):

(٢٨٨٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "صحبت جرير ابن عبد الله، فكان يخدمني وهو أكبر من أنس"، قال جرير: "إني رأيت الأنصار يصنعون شيئًا، لا أجد أحدًا منهم إلا أكرمته".

(٢٨٨٩) وعنه رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم راجعًا وبدا له أحد قال: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»... الحديث.

(٢٨٩٠) وعنه رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، أكثرنا ظلًّا الذي يستظل بكسائه، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئًا،

وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا"... الحديث.

وفي «صحيح البخاري» برقم (٢٨٨٣): عن الربيع بنت معوذ ﵂ قالت: "كنا نغزو مع النبي ﷺ، فنسقي القوم، ونخدمهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة".

وفي «صحيح مسلم» برقم (١٨١٢): عن أم عطية الأنصارية ﵂ قالت: "غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى".

وفيه برقم (١٨١٠): عن أنس بن مالك ﵁ قال: "كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى".

قال الإمام الشوكاني ﵀ في «نيل الأوطار» (٧/ ٢٨٢):

"قوله: "كنا نغزو..." إلخ، جعلت الإعانة للغزاة: غزوًا.

ويمكن أن يقال: إنهن ما أتين لسقي الجرحى ونحو ذلك إلا وهن عازمات على المدافعة عن أنفسهن.

وقد وقع في «صحيح مسلم» عن أنس: "أن أم سليم اتخذت خنجرًا يوم حنين؛ فقالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه"، ولهذا بوب البخاري: (باب: غزو النساء وقتالهن).

قوله: "وأداوي الجرحى": فيه: دليل على أنه يجوز للمرأة الأجنبية معالجة الرجل الأجنبي للضرورة". اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٦/ ٨٤): "قوله: (باب الخدمة في الغزو)، أي: فضلها؛ سواء كانت من صغير لكبير أو عكسه أو مع المساواة". اهـ

وقال رحمه الله في (٦/ ٨٤): "قال ابن أبي صفرة: فيه: أن أجر الخدمة في الغزو أعظم من أجر الصيام.

قلت: وليس ذلك على العموم.

وفيه: الحض على المعاونة في الجهاد". اهـ

قال الإمام النووي ﷺ في «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ١٨٨-١٨٩): "فيه: خروج النساء في الغزو، والانتفاع بهن في السقي والمداواة ونحوهما.

وهذه المداواة لمحارمهن وأزواجهن، وما كان منها لغيرهم لا يكون فيه مس بشرة إلا في موضع الحاجة". اهـ

الاعتماد والرجوع إلى اللّه في أي نصر على الأعداء، وعدم الاغترار بالنفس والقوة، أو العدد والعدة، ونحوها

قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[التوبة:٢٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١١٠): "قال ابن جريج عن مجاهد: هذه أول آية نزلت من براءة، يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عنده تعالى وبتأييده وتقديره، لا بعددهم ولا بعددهم.

ونبههم على أن النصر من عنده؛ سواء قل الجمع أو

كثر، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئًا؛ فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ، ثم أنزل نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه؛ كما سنبينه -إن شاء الله تعالى- مفصلًا؛ ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى وحده وبإمداده؛ وإن قل الجمع، فـ ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩]". اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٣/ ٤١٨-٤١٩): "واقتضت حكمته سبحانه: أن أذاق المسلمين أولًا مرارة الهزيمة والكسرة؛ مع كثرة عددهم وعددهم، وقوة شوكتهم؛ ليضع رؤوسًا رفعت بالفتح، ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله ﷺ واضعًا رأسه، منحنيًا على فرسه؛ حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعًا لربه وخضوعًا لعظمته، واستكانة لعزته؛

أن أحل له حرمه وبلده ولم يحل لأحد قبله ولا لأحد بعده، وليبين سبحانه لمن قال: "لن نغلب اليوم عن قلة"؛ أن النصر إنما هو من عنده، وأنه من ينصره فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له غيره، وأنه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه؛ لا كثرتكم التي أعجبتكم، فإنها لم تغن عنكم شيئًا؛ فوليتم مدبرين.

فلما انكسرت قلوبهم أرسلت إليها خلع الجبر مع بريد النصر، ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التوبة:٢٦].

وقد اقتضت حكمته: أن خلع النصر وجوائزه إنما تفيض على أهل الانكسار، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾[القصص:٥-٦]". اهـ

قال الحافظ ابن رجب ﵀ في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨١-٤٨٢): "وأما الاستعانة بالله ﷻ دون غيره من الخلق؛ فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، **ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله ﷻ.**

فمن أعانه الله؛ فهو المعان، ومن خذله؛ فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول: "لا حول ولا قوة إلا بالله"؛ فإن المعنى: لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله.

وهذه كلمة عظيمة، وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده؛ من أهوال البرزخ ويوم القيامة، **ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله ﷻ.**

فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله؛ أعانه، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز».

ومن ترك الاستعانة بالله، واستعان بغيره؛ وكله الله إلى من استعان به؛ فصار مخذولًا". اهـ

النصر مع الصبر

-مع تحقيق أسباب النصر-

ومن عرف اللَّه ونصره في الرخاء

عرفه ونصره في الشدة

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾[آل عمران: ٢٠٠].

وعن عبد الله ابن جعفر: أن النبي ﷺ أردفه خلفه فقال: «يا فتَى! أَلَا أَهَبُ لَكَ أَلَا أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟

احْفَظِ اللَّـهَ يَحْفَظْـك، احْفَـظِ اللَّـهَ تَجِـدْهُ أَمَامَـك، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْخَلَائِقَ لَوْ أَرَادُوك بِشَيْءٍ لَمْ يُرِدْكَ اللَّهُ بِهِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[صححه المحدث الألباني في «السنة» (٣١٥)].

وقال ﷺ: «تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ؛ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»[«صحيح الجامع» (٢٩٦١)].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٧٢-٤٧٣): "قوله ﷺ: «تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ؛ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»، يعني: أن العبد إذا اتقى الله، وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رخائه؛ فقد تعرف بذلك إلى الله، وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة؛ فعرفه ربه في الشدة، ورعى له تعرفه إليه في الرخاء". اهـ

وقال رحمه الله في (١/ ٤٨٨-٤٩٠): "قوله ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ»، هذا موافق لقول الله عز وجل: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾[البقرة:

٢٤٩]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الأنفال:٦٦].

وقال عمر لأشياخ من بني عبس: بم قاتلتم الناس؟ قالوا: بالصبر، لم نلق قومًا إلا صبرنا لهم كما صبروا لنا.

وقال بعض السلف: كلنا يكره الموت وألم الجراح، ولكن نتفاضل بالصبر.

وقال البطال: الشجاعة: صبر ساعة.

وهذا في جهاد العدو الظاهر، وهو جهاد الكفار، وكذلك جهاد العدو الباطن، هو جهاد النفس والهوى؛ فإن جهادهما من أعظم الجهاد؛ كما قال النبي ﷺ: «المجاهد: من جاهد نفسه في الله».

وقال عبد الله بن عمر لمن سأله عن الجهاد: ابدأ بنفسك؛ فجاهدها، وابدأ بنفسك؛ فاغزها.

وقال بقية بن الوليد: أخبرنا إبراهيم بن أدهم: حدثنا الثقة عن علي بن أبي طالب، قال: أول ما تنكرون من جهادكم: أنفسكم.

وقال إبراهيم بن أبي علقمة لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر، فما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب.

ويروى هذا مرفوعًا من حديث جابر بإسناد ضعيف، ولفظه: «قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «مجاهدة العبد لهواه».

ويروى من حديث سعد بن سنان، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نورًا، أعدى عدوك: نفسك التي بين جنبيك».

وقال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر رضي الله عنهما حين

استخلفه: إن أول ما أحذرك: نفسك التي بين جنبيك.

فهذا الجهاد يحتاج -أيضًا- إلى صبر، فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه؛ غلبه، وحصل له النصر والظفر، وملك نفسه، فصار عزيزًا ملكًا.

ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك؛ غلب، وقهر، وأسر، وصار عبدًا ذليلًا أسيرًا في يدي شيطانه وهواه؛ كما قيل:

إذا المرء لم يغلب هواه أقامه

بمنزلة فيها العزيز ذليل

قال ابن المبارك: من صبر؛ فما أقل ما يصبر! ومن جزع؛ فما أقل ما يتمتع!

فقوله ﷺ: «أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ»، يشمل: النصر في الجهادين: جهاد العدو الظاهر، وجهاد العدو الباطن، فمن صبر فيهما؛ نصر وظفر بعدوه، ومن لم يصبر فيهما وجزع،

قهر، وصار أسيرًا لعدوه أو قتيلًا له". اهـ

قال معالي الشيخ صالح آل الشيخ في «شرح الأربعين النووية»: "قوله «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرَ»، والنصر مطلوب، فصار الصبر مطلوبًا، والصبر مرتبة واجبة، وإذا حصل كرب ومصيبة؛ كما قال ﷺ: «مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ».

إذا حصلت مصيبة؛ فإن الصبر واجب، يعني: الصبر أمر الله به، وهو واجب على كل أحد". اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٥-١٥٦): "الصبر في اللغة: الحبس والكف.

ومنه: قتل فلان صبرًا؛ إذا أمسك وحبس، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[الكهف:٢٨]، أي: احبس نفسك معهم.

فالصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش.

وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله.

فالأولان: صبر على ما يتعلق بالكسب.

والثالث: صبر على ما لا كسب للعبد فيه". اهـ

وقال رحمه الله في: (٢/ ١٥٦): "فصل: أنواع الصبر:

وهو على ثلاثة أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله.

فالأول: صبر الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[النحل:١٢٧]، يعني: إن لم يصبرك هو لم تصبر.

والثاني: الصبر لله، وهو: أن يكون الباعث له على الصبر

محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه؛ لا لإظهاره قوة النفس، والاستحماد إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض.

والثالث: الصبر مع الله، وهو: دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها، مقيمًا بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها.

فهذا معنى كونه صابرًا مع الله؛ أي: قد جعل نفسه وقفًا على أوامره ومحابه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبر الصديقين". اهـ

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ١٧٢): "وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، قال الحسن البصري رحمه الله: أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم، وهو: الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا

مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم.

وكذا قال غير واحد من علماء السلف.

وأما المرابطة؛ فهي: المداومة في مكان العبادة والثبات.

وقيل: انتظار الصلاة بعد الصلاة؛ قاله ابن عباس وسهل ابن حنيف ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم". اهـ

الإشارة إلى أنواع الجهاد، ومتى يتعين، وشروطه، ومسقطاته

جاء في «الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة» (١/ ١٩٩-٢٠٣) لمجموعة من المؤلفين، في بيان الجهاد:

"وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريفه، وفضله، والحكمة منه، وحكمه، ومتى يتعين؟

أ- تعريفه:

الجهاد لغة: بذل الجهد والطاقة والوسع.

وفي الاصطلاح: بذل الجهد والوسع في قتال الأعداء من الكفار ومدافعتهم.

ب- فضله، والحكمة منه:

الجهاد: ذروة سنام الإسلام؛ كما سماه النبي ﷺ [أخرجه

الترمذي برقم (٢٦١٦)، وقال: "حسن صحيح"، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٢٣١)، وصححه الألباني «صحيح سنن الترمذي» رقم (٢١١٠)، وهو جزء من حديث طويل]، أي: أعلاه، وسمي بذلك لأنه يعلو به الإسلام ويرتفع ويظهر.

وقد فضَّل الله المجاهدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم، ووعدهم الجنة؛ كما سيأتي في آية سورة النساء بعد قليل، والآيات والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين كثيرة.

أما الحكمة من مشروعية الجهاد: فقد شرعه الله -سبحانه- لأهداف سامية وغايات نبيلة، من ذلك:

١- شرع الجهاد لتخليص الناس من عبادة الأوثان والطواغيت، وإخراجهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[الأنفال:٣٩].

٢- كما شرع لإزالة الظلم وإعادة الحقوق إلى أهلها،

قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾[الحج:٣٩].

٣- كما شرع الجهاد لإذلال الكفار، وإرغام أنوفهم، والانتقام منهم، قال سبحانه: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾[التوبة:١٤].

ج- حكمه ودليل ذلك:

الجهاد بمعناه الخاص -وهو: جهاد الكفار-: فرض كفاية؛ إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وصار في حقهم سنة؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥﴾[النساء:٩٥].

فقد دلت هذه الآية على أن: الجهاد فرض كفاية، لا فرض عين؛ لأن الله فاضل بين المجاهدين والقاعدين عن الجهاد بدون عذر، وكلًّا وعد الحسنى، وهي: الجنة.

ولو كان الجهاد فرض عين؛ لاستحق القاعدون الوعيد لا الوعد.

ولقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١٢٢]، وهذا مشروط بما إذا كان للمسلمين قوة وقدرة على قتال أعدائهم، فإن لم يكن لديهم قوة ولا قدرة سقط عنهم؛ كسائر الواجبات، وأصبح قتالهم لعدوهم -والحالة هذه- إلقاءً بأنفسهم إلى التهلكة.

د- متى يتعين؟

لكن هناك حالات يتعين فيها الجهاد؛ فيصير: فرض عين على المسلم، وهي:

الحالة الأولى: إذا هاجم الأعداء بلاد المسلمين، ونزلوا بها، أو حصروها؛ تعين قتالهم، ودفع ضررهم على جميع أفراد المسلمين.

الحالة الثانية: إذا حضر القتال، وذلك إذا التقى الزحفان، وتقابل الصفَّان؛ تعين الجهاد، وحرم على من حضر القتال الانصراف والتولي من أمام العدو؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝١٥﴾[الأنفال:١٥]، ولعدِّه ﷺ التولي يوم الزحف من الكبائر الموبقات [أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (١٤٥)].

ولكن يستثنى من التولي المتوعد عليه حالتان:

الأولى: إذا كان المتولي متحرفًا لقتال، أي: يذهب لكي يأتي بقوة أكثر.

والثانية: أن يكون متحيزًا إلى فئة من المسلمين تقوية

ونصرة لها.

الحالة الثالثة: إذا عينهم الإمام واستنفرهم للجهاد؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [التوبة:٣٨-٣٩]، وقوله ﷺ: «وإذا استنفرتم فانفروا»[متفق عليه: رواه البخاري برقم (١٨٣٤)، ومسلم برقم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما].

الحالة الرابعة: إذا احتيج إليه؛ فإنه يتعيَّن عليه الجهاد.

المسألة الثانية: شروط الجهاد:

يشترط لوجوب الجهاد: سبعة شروط، وهي: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والذكورية، والحرية، والاستطاعة المالية والبدنية، والسلامة من الأمراض والأضرار.

- فلا يجب الجهاد على الكافر؛ لأنه عبادة والعبادة لا تجب عليه، ولا تصح منه، ولأنه لا يتوافر فيه الإخلاص والأمانة والطاعة، فلا يؤذن له بالخروج مع جيش المسلمين؛ لقوله ﷺ للرجل المشرك الذي تبعه في بدر: «تؤمن بالله ورسوله؟»، قال: لا، قال: «فارجع، فلن أستعين بمشرك»[رواه مسلم برقم (١٨١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها].

- وكذلك لا يجب على الصبي غير البالغ؛ لأنه غير مكلف، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما: أنه عرض نفسه على رسول الله ﷺ يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزه في المقاتلة[متفق عليه: رواه البخاري برقم (٢٦٦٤)، ومسلم برقم (١٨٦٨)].

- وكذلك المجنون، لا يجب عليه الجهاد؛ لأنه مرفوع عنه القلم، وليس من أهل التكليف.

- ولا يجب على العبد؛ لأنه مملوك لسيده، ولا المرأة؛

لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسـول الله! هـل علـى النـساء جهاد؟ فقال: «جهاد لا قتال فيـه: الحـج والعمـرة»[رواه ابـن ماجه برقم (٢٩٠١)، والبيهقي (٤/ ٣٥٠)، وغيرهـا، وصـححه الألبـاني «الإرواء» برقم (١١٨٥)]، وفي لفظ: نرى الجهاد أفضل العمـل، أفلا نجاهد؟ فقال: «لكن أفضل الجهاد: حـج مبـرور»[رواه البخاري برقم (٢٧٩٤)].

- وغير المستطيع، وهو الذي لا يستطيع حمل السلاح لضعف أو كبر، وكذلك الفقير الذي لا يجد ما ينفق في طريقه فاضلًا عن نفقة عياله؛ لا يجب عليهم الجهاد؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة:٩١].

وكذلك: من به ضرر، أو مرض، أو غير ذلك من الأعذار؛ لا يجب عليه الجهاد؛ لأن العجز ينفي الوجوب، ولقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا

﴿عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾[الفتح:١٧]، وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[التوبة:٩١].

المسألة الثالثة: مسقطات الجهاد:

هناك أعذار تسقط عن صاحبها الجهاد؛ إذا كان فرض عين أو فرض كفاية، وهي:

١ و٢- الجنون والصِّبا: لقوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم»[رواه أبو داود برقم (٤٤٠١)، والنسائي (٦/ ١٥٦)، وصححه الألباني «الإرواء» برقم (٢٩٧)].

٣- الأنوثة: فلا يجب الجهاد على الأنثى، وقد سبق ذكره.

٤- الرق: لما روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «للعبد المملوك الصالح أجران، والذي نفسي بيده! لولا

الجهاد في سبيل الله والحج وبرّ أمي؛ لأحببت أن أموت وأنا مملوك»[رواه البخاري برقم (٢٥٤٨)، وقوله: «والذي نفسي بيده» الصحيح: أنه مدرج من كلام أبي هريرة].

٥ و٦- الضعف البدني، والعجز المالي، والمرض، وعدم سلامة بعض الأعضاء؛ كالعمى والعرج الشديد، وقد سبق ذكرها.

٧- عدم إذن الأبوين أو أحدهما، إذا كان الجهاد تطوعًا؛ لحديث ابن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد؛ فقال: «أحيٌّ والداك؟»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»[رواه البخاري برقم (٣٠٠٤)، ومسلم برقم (٢٥٤٩)]، فبر الوالدين: فرض عين، والجهاد: فرض كفاية في هذه الحالة، فيقدَّم فرض العين.

فإذا تعيَّن الجهاد فليس لهما منعه، ولا إذن لهما.

٨- الدَّيْن الذي لا يجد له وفاءً؛ إذا لم يأذن صاحبه، وكان

الجهاد تطوعًا؛ لقوله ﷺ: «القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدَّين»[رواه مسلم برقم (١٨٨٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما].

فإذا تعيَّن الجهاد فلا إذن لغريمه.

٩- العَالِم الذي لا يوجد غيره في البلد؛ لأنه لو قتل لافتقر الناس إليه؛ إذ لا يمكن لأحد أن يحل محله، فإذا كان لا يوجد من هو أفقه منه؛ يسقط عنه الخروج للجهاد، نظرًا لحاجة المسلمين له". اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «الفروسية» (ص١٨٧-١٨٩): "فإذا كانت المُسابقة شرعت ليتعلم المؤمن القتال، ويتعوده؛ ويتمرن عليه؛ فمن المعلوم:أن المجاهد قد يقصد: دفع العدو إذا كان المجاهد مطلوبًا والعدو طالبًا، وقد يقصد: الظفر بالعدو ابتداءً إذا كان طالبًا والعدو مطلوبًا، وقد يقصد كلا الأمرين.

والأقسام ثلاثة، يُؤمر المؤمن فيها بالجهاد.

وجهاد الدَّفع أصعب من جهاد الطَّلب؛ فإن جهاد الدَّفع يشبه باب دفع الصَّائل، ولهذا أُبيح للمظلوم أن يدفع عن نفسه؛ كما قال الله -تعالى-: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾[الحج:٣٩]، وقال النبي ﷺ: «من قتل دون مَالِه فَهُوَ شَهِيد، وَمن قتل دون دَمه فَهُوَ شَهِيد».

لأن دفع الصَّائل على الدِّين: جهاد وقربة، ودفع الصَّائل على المال والنفس: مباح ورخصة، فإن قُتل فيه فهو شهيد.

فقتال الدَّفع أوسع من قتال الطَّلب وأعم وجوبًا، ولهذا يتعيَّن على كل أحد يقم ويجاهد فيه: العبد بإذن سيده وبدون إذنه، والولد بدون إذن أبويه، والغريم بغير إذن غريمه، وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق.

ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد: أن يكون العدو ضعفي المسلمين فما دون؛ فإنهم كانوا يوم أحد والخندق

أضعاف المسلمين فكان الجهاد واجبًا عليهم؛ لأنه حينئذ جهاد ضرورة ودفع، لا جهاد اختيار، ولهذا تباح فيه صلاة الخوف -بحسب الحال- في هذا النوع.

وهل تباح في جهاد الطلب إذا خاف فوت العدو ولم يخف كرته؟ فيه قولان للعلماء، هما روايتان عن الإمام أحمد.

ومعلوم: أن الجهاد الذي يكون فيه الإنسان طالبًا مطلوبًا أوجب من هذا الجهاد؛ الذي هو فيه طالب لا مطلوب، والنفوس فيه أرغب من الوجهين.

وأما جهاد الطلب الخالص؛ فلا يرغب فيه إلا أحد رجلين: إما عظيم الإيمان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، وإما راغب في المغنم والسبي.

فجهاد الدفع يقصده كل أحد، ولا يرغب عنه إلا الجبان المذموم شرعًا وعقلًا.

وجهاد الطلب الخالص لله؛ يقصده سادات المؤمنين.

وأما الجهاد الذي يكون فيه طالبًا مطلوبًا؛ فهذا يقصده خيار الناس؛ لإعلاء كلمة الله ودينه، ويقصده أوساطهم للدفع ولمحبة الظفر". اهـ

قال الشيخ محمد العثيمين ﵀ عن الجهاد في «لقاء الباب المفتوح» (٢/ ٤٢٠): "إذا كان فرض كفاية أو فرض عين؛ فلا بد له من شروط، من أهمها :القدرة، فإن لم يكن لدى الإنسان قدرة؛ فإنه لا يلقي بنفسه إلى التهلكة". اهـ

وقال ﵀ في (٢/ ٢٦١): "لكن الآن ليس بأيدي المسلمين ما يستطيعون به جهاد الكفار؛ حتى ولا جهاد مدافعة". اهـ

وقال ﵀ في «شرح رياض الصالحين» (٥/ ٣٣٨-٣٣٩): "ولكن يجب قبل قتالهم: أن نعد ما استطعنا من

قوة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠].

والقوة نوعان: قوة معنوية، وقوة مادية حسية:

القوة المعنوية: الإيمان، الإيمان بالله والعمل الصالح قبل أن نبدأ بجهاد غيرنا، قال الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف:١٠-١١].

فالإيمان قبل الجهاد، ثم بعد ذلك الإعداد بالقوة المادية.

ولكن -مع الأسف!- أن المسلمين لما كان بأسهم بينهم من أزمنة متطاولة؛ نسوا أن يعدوا هذا وهذا؛ لا إيمان قوي، ولا مادة!

سبقنا الكفار بالقوة المادية بالأسلحة وغيرها، وتأخرنا عنهم بهذه القوة؛ كما أننا تأخرنا عن إيماننا الذي يجب علينا

تأخرًا كبيرًا، وسار بأسنا بيننا –نسأل الله السلامة والعافية–.

فالقتال: واجب؛ ولكنه كغيره من الواجبات لا بد من القدرة، والأمة الإسلامية اليوم عاجزة، لا شك عاجزة، ليس عندها قوة معنوية ولا قوة مادية.

إذًا؛ يسقط الجواب لعدم القدرة عليه، فاتقوا الله ما استطعتم". اهـ

الكفار: إما أهل حرب، وإما أهل عهد، ومقاتلة الحربي لا يعني: مقاتلة المعاهد أو من أُعطي الأمان ويجوز مهادنة الكفار إذا رأى الحاكم مصلحة فيها

قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾[التوبة:٦].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[«صحيح البخاري» (٣١٦٦)].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «أحكام أهل الذمة» (٢/ ٨٧٣-٨٧٤): "الكفار: إما أهل حرب، وإما أهل عهد.

وأهل العهد ثلاثة أصناف:

١- أهل ذمة.

٢- وأهل هدنة.

٣- وأهل أمان.

وقد عقد الفقهاء لكل صنف بابًا، فقالوا: (باب الهدنة، باب الأمان، باب عقد الذمة).

ولفظ "الذمة والعهد" يتناول هؤلاء كلهم في الأصل، وكذلك لفظ "الصلح"، فإن الذمة من جنس لفظ العهد والعقد.

وقولهم: "هذا في ذمة فلان" أصله من هذا: أي في عهده وعقده، أي: فألزمه بالعقد والميثاق، ثم صار يستعمل في كل ما يمكن أخذ الحق من جهته؛ سواء وجب بعقده، أو بغير عقده؛ كبدل المتلف، فإنه يقال: هو في ذمته، وسواء وجب بفعله، أو بفعل وليه، أو وكيله، كولي الصبي، والمجنون، وولي بيت المال والوقف، فإن بيت المال،

والوقف يثبت له حق وعليه حق كما يثبت للصبي والمجنون، ويطالب وليه الذي له أن يقبض له، ويقبض ما عليه.

وهكذا لفظ "الصلح" عام في كل صلح، وهو يتناول: صلح المسلمين بعضهم مع بعض، وصلحهم مع الكفار، ولكن صار -في اصطلاح كثير من الفقهاء- " أهل الذمة" عبارة عمن يؤدي الجزية.

وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله؛ إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله، بخلاف أهل الهدنة؛ فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم؛ سواء كان الصلح على مال، أو غير مال، لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين.

وهؤلاء يسمون: "أهل العهد، وأهل الصلح، وأهل الهدنة".

وأما المستأمن: فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام: رسل، وتجار، ومستجيرون؛ حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاءوا دخلوا فيه، وإن شاءوا رجعوا إلى بلادهم، وطالبوا حاجة من زيارة، أو غيرها.

وحكم هؤلاء: ألا يهاجروا، ولا يقتلوا، ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن؛ فإن دخل فيه فذاك، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به، ولم يعرض له قبل وصوله إليه، فإذا وصل مأمنه عاد حربيًّا كما كان". اهـ

قال شيخ الإسلام رحمه الله في «الصارم المسلول على شاتم

الرسول» (ص ٢٦٤-٢٦٥): "ويجب أن يعلم: أن من لحق بدار الحرب صار حربيًّا، فما وجد منه من الجنايات بعد ذلك فهي كجنايات الحربي؛ لا يؤخذ بها إن أسلم أو عاد إلى الذمة، ولذلك قال الخرقي: ومن هرب من ذمتنا إلى دار الحرب، ناقضًا للعهد؛ عاد حربيًّا.

وكذلك -أيضًا- إذا امتنعوا بدار الإسلام من الجزية أو الحكم، ولهم شوكة ومنعة؛ قاتلوا بها عن أنفسهم، فإنهم قد قاتلوا بعد أن انتقض عهدهم، وصار حكمهم حكم المحاربين، فلا يتعين قتل من استرق منهم، بل حكمه إلى الإمام، ويجوز استرقاقه؛ كما نص الإمام أحمد على هذه الصورة بعينها، لأن المكان الذي تحيزوا فيه وامتنعوا بمنزلة دار الحرب، ولم يجنوا على المسلمين جناية ابتدءوا بها للمسلمين، وإنما قاتلوا عن أنفسهم بعد أن تحيزوا وامتنعوا، وعلم أنهم محاربون.

فمن قال من أصحابنا: إن من قاتل المسلمين؛ يتعين قتله، ومن لحق بدار الحرب؛ خُيِّر الإمام فيه؛ فإنما ذاك إذا قاتلهم ابتداء قبل أن يظهر نقض العهد، ويظهر الامتناع بأن يعين أهل الحرب على قتال المسلمين، ونحو ذلك.

فأما إذا قاتل بعد أن صار في شوكة ومنعة يمتنع بها عن أداء الجزية؛ فإنه يصير كالحربي سواء -كما تقدم-، ولهذا قلنا على الصحيح: إن المرتدين إذا أتلفوا دمًا أو مالًا بعد الامتناع؛ لم يضمنوه، وما أتلفوه قبل الامتناع؛ ضمنوه، وسيأتي -إن شاء الله تعالى- تمام الكلام في الفرق". اهـ

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله في «العمدة» (ص ٦٤٨-٦٥١): "(باب الأمان):

ومن قال لحربي: قد أجرتك أو أمنتك، أو لا بأس عليك، ونحو هذا؛ **فقد أمنه.**

ويصح الأمان من كل مسلم عاقل مختار، حرًّا كان أو

عبدًا، رجلًا كان أو امرأةً، لقول رسول الله ﷺ : «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم».

ويصح أمان آحاد الرعية للجماعة اليسيرة، وأمان الأمير للبلد الذي أقيم بإزائه، وأمان الإمام لجميع الكفار.

ومن دخل دارهم بأمانهم؛ فقد أمنهم من نفسه.

وإن خلوا أسيرًا منا بشرط: أن يبعث إليهم مالًا معلومًا؛ لزمه الوفاء لهم.

فإن شرطوا عليه: أن يعود إليهم إن عجز؛ لزمه الوفاء لهم، إلا أن تكون امرأة؛ فلا ترجع إليهم.

فصل:

وتجوز مهادنة الكفار؛ إذا رأى الإمام المصلحة فيها، ولا يجوز عقدها إلا من الإمام أو نائبه.

وعليه حمايتهم من المسلمين دون أهل الحرب.

وإن خاف نقض العهد منهم؛ نبذ إليهم عهدهم". ا هـ

قال بهاء الدين المقدسي رحمه الله في «العدة شرح العمدة» (ص ٦٤٨-٦٥١):"وذلك؛ أن من أعطى الأمان حرم قتله وماله والتعرض له.

فأما صفة الأمان؛ فالذي ورد به الشرع لفظتان: (أمنتك وأجرتك)؛ لقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]، وقال ﷺ لأم هانئ: «قد أجرنا من أجرت، وأمَّنا من أمنت». رواه البخاري، وقال: «من دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن».

وفي معنى ذلك: لا تخف، ولا بأس عليك؛ فقد روي أن عمر رضي الله عنه قال للهرمزان: "لا بأس عليك؛ تكلم، فلما تكلم أمر عمر بقتله، فقال أنس: ليس لك إلى ذلك سبيل، قد أمنته! فدرأ عنه القتل". رواه سعيد وغيره.

وقال عمر: "إذا قلتم: لا بأس، أو لا تذهل، أو مترس؛ فقد أمنتموهم، فإن الله يعلم الألسنة"، وفي رواية: "إذا قال الرجل للرجل: لا تخف، أو مترس؛ فقد أمنه".

وهذا كله لا نعلم فيه خلافًا.

فأما إن قال له: كف، أو ألق سلاحك؛ فقال أصحابنا: هو أمان؛ لأن الكافر يعتقده أمانًا؛ فكان أمانًا، كقوله: أمنتك، ويحتمل أنه ليس بأمان؛ لأن لفظه لا يشعر به، وهو يستعمل للإرهاب والتخويف فأشبه ما لو قال: لأقتلنك.

مسألة (٤٧): ويصح الأمان من كل مسلم بالغ عاقل مختار، ذكرًا كان أو أنثى، حرًّا أو عبدًا).

وهو قول أكثرهم، وروي ذلك عن عمر رضي الله عنه، وقال أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد إلا أن يكون مأذونًا له؛ لأنه لا يجب عليه الجهاد فلا يصح أمانه؛ كالصبي، ولأنه مجلوب

من دار الحرب فلا يؤمن أن ينظر لهم في تقديم مصلحتهم.

ولنا ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا». رواه البخاري.

وقال عمر: "العبد المسلم رجل من المسلمين ذمته ذمتهم"، رواه سعيد.

ولأنه مسلم مكلف، أشبه الحر.

وأما التهمة؛ فتبطل بما لو أذن له في القتال، فإنه يصح أمانه.

وأما المرأة؛ فيجوز أمانها في قولهم جميعًا.

وأما الصبي المميز؛ ففيه روايتان، قال أبو بكر: يصح

أمانه -رواية واحدة-؛ لأنه مسلم مميز، فأشبه البالغ، وحمل رواية المنع على من لم يعقل وفارق المجنون؛ فإنه لا تمييز له.

مسألة (٤٨): (ويصح أمان آحاد الرعية للجماعة اليسيرة):

كالواحد والعشرة والقافلة والحصن الصغير؛ لما روى فضيل بن يزيد الرقاشي قال: "جهز عمر بن الخطاب جيشًا؛ فكنت فيهم، فحضرنا موضعًا، فرأينا أنا سنفتحها اليوم، فجعلنا نقبل ونروح، فبقي عبد منا فراطنهم وراطنوه، فكتب لهم الأمان في صحيفة وشدها على سهم ورمى بها إليهم، فأخذوها وخرجوا، فكتب بذلك إلى عمر؛ فقال: العبد المسلم رجل من المسلمين ذمته ذمتهم". رواه سعيد.

فإذا صح من العبد؛ فالحر أولى.

ولا يصح أمان الواحد لأهل بلدة ورستاق وجمع كثير؛ لأن ذلك يفضي إلى تعطيل الجهاد، والافتئات على الإمام.

(ويصح أمان الأمير للبلد الذي أقيم بإزائه)؛ لأنه نائب الإمام فيه.

(ويصح أمان الإمام لجميع الكفار)؛ لأنه متولي ذلك يفعل ما يرى فيه المصلحة.

مسألة (٤٩): (ومن دخل دارهم بأمانهم؛ فقد أمنهم من نفسه):

لأنهم إنما أعطوه الأمان مشروطًا بأمنه إياهم من نفسه وترك خيانتهم، وإن لم يكن ذلك مذكورًا؛ فهو معلوم في المعنى، ولا يصلح في ديننا الغدر، وقد قال ﷺ: «المؤمنون عند شروطهم»...".

ثم قال رحمه الله: "مسألة (٥٣): (وتجوز مهادنة الكفار إذا رأى الإمام المصلحة فيها):

ومعناها: أن يعقد لأهل الحرب عقدًا على ترك القتال مدة بعوض وغير عوض، ويسمى: مهادنة، وموادعة، ومعاهدة، وذلك جائز لقول الله -سبحانه-: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾[التوبة:١]، وقال: ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[الأنفال:٦١]، وروى مروان ومسور بن مخرمة: "أن النبي ﷺ صالح سهيل بن عمرو بالحديبية على وضع القتال عشر سنين".

ولا يجوز إلا النظر للمسلمين: إما أن يكون بالمسلمين ضعف عن قتالهم، وإما أن يطمع في إسلامهم بهدنتهم أو في أدائهم الجزية والتزامهم أحكام الملة.

ولا تتقدر بمدة بل هي على ما يرى الإمام من المصلحة في قلتها وكثرتها، قال القاضي: ظاهر كلام أحمد أنها لا تجوز أكثر من عشر سنين، وهي اختيار أبي بكر ومذهب الشافعي؛ لأن قوله سبحانه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[التوبة:٥]: عام خص منه: مدة العشر بصلح النبي ﷺ أهل الحديبية على عشر، ففيما زاد عليها يبقى على مقتضى العموم.

ووجه الأول: أنه عقد يجوز في العشر فجاز فيما زاد؛ كمدة الإجازة.

والعام مخصوص في العشر لمعنى هو موجود فيما زاد عليها، وهو: أن المصلحة قد تكون في الصلح أكثر منها في الحرب.

فإن قلنا بجوازه في الزيادة؛ لم يجز مطلقًا من غير تقدير؛

لأنه يفضي إلى ترك الجهاد بالكلية، وإن قلنا: يتقدر بالعشر؛ فعقد على أكثر من ذلك فسد في الزيادة، وكان في العشر على وجهين مبنيين على تفريق الصفقة.

مسألة (٥٤): (ولا يجوز عقدها إلا من الإمام أو نائبه):

لأن ذلك يتعلق بنظر الإمام وما يراه من المصلحة -على ما قدمنا-، ولأن عقد الهدنة يكون مع جملة من الكفار، وليس لأحد من المسلمين إعطاء الأمان لأكثر من القافلة؛ لأن في تجويز ذلك افتئاتًا على الإمام أو نائبه في تلك الناحية، وتعطيل الجهاد بالكلية.

فإن هادنهم غير الإمام أو نائبه؛ لم يصح، فإن دخل بعض الكفار الذين هادنهم دار الإسلام كان آمنًا؛ لأنه دخل معتقدًا أنه دخل بأمان، ويرد إلى دار الحرب ولا يقر في دار الإسلام؛ لأن الأمان لم يصح.

مسألة (٥٥): (وعليه حمايتهم من المسلمين دون أهل الحرب):

لأنه أمنهم ممن هو في قبضته وتحت يده.

ومن أتلف من المسلمين أو أهل الذمة عليهم شيئًا، أو قتل منهم أحدًا؛ فعليه ضمانه، ولا يلزم الإمام حمايتهم من أهل الحرب، ولا حماية بعضهم من بعض؛ لأن الهدنة التزام الكف عنهم فقط.

مسألة (٥٦): (وإن خاف نقض العهد منهم؛ جاز أن ينبذ إليهم عهدهم):

لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)﴾[الأنفال:٥٨]، يعني: أعلمهم حتى تصير أنت وهم سواء في العلم، ولا يكفي أن يقع في قلبه خوف منهم حتى يكون ذلك عن أمارة تدل على ما خافه". اهـ

الإيمان الغيبي بأننا سنقاتل اليهود في آخر الزمان، وأننا سننتصر عليهم ونهزمهم، وأن ذلك سيقع وهو من أشراط الساعة

قال النبي ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ؛ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ؛ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ! يَا عَبْدَ اللهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي؛ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

وفي رواية: «تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ؛ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ». [وغيرها من الأحاديث في «الصحيحين»].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٦/ ١٠٣): "وفيه: إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام؛ فإنه الذي يقاتل

الدجال، ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال؛ على ما ورد من طريق أخرى، وسيأتي بيانها مستوفى في علامات النبوة -إن شاء الله تعالى-". اهـ

وقال في (٦/ ٦١٠): "فالمراد بقتال اليهود: وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى، وكما وقع صريحًا في حديث أبي أمامة في قصة خروج الدجال ونزول عيسى". اهـ

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ٤٥): "قوله ﷺ: «إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»:

والغرقد: نوع من شجر الشوك، معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود". اهـ

قال الشيخ ابن باز رحمه الله في «فتاوى نور على الدرب» (٤/ ٢٨٢-٢٨٣): "الحديث صحيح، رواه البخاري ومسلم في «الصحيحين»، وغيرهما، ولفظه: «يقاتل المسلمون اليهود، فينتصرون عليهم حتى يقول الشجر

والحجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي تعال فاقتله»[أخرجه مسلم في (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل)، برقم (٢٩٢٢)]، أو قريب من هذا اللفظ.

المقصود: أنه ثابت عن رسول الله ﷺ، وأن المسلمين يقاتلون اليهود، وأنهم ينصرون عليهم؛ حتى إن الحجر والشجر يقول للمسلم: يا عبد الله! هذا يهودي تعال فاقتله.

أما كون ذلك في وقتنا هذا؛ فهو محل نظر، فإن الذي يقاتلهم المسلمون، والمقاتلون الآن ليسوا على المستوى الكامل من جهة الإسلام: فيهم المسلم، وفيهم غير المسلم، وليس هناك تطبيق -فيما بلغنا من المسلمين هناك- للشريعة المطهرة كما ينبغي، بل هناك العاصي، وهناك الكافر، وهناك المسلم المستقيم.

فالقتال الذي أخبر به النبي ﷺ يكون من المسلمين الملتزمين المستقيمين، فلهذا ينصرهم الله على اليهود؛ بسبب استقامتهم على دين الإسلام ونصرهم لدين الله.

فيحتمل أن يكون هذا بعد وقت يتحسن فيه أحوال المسلمين، ويجتمعون على الحق والهدى، فينصرون عليهم.

ويحتمل أن يكون هذا في وقت عيسى؛ كما هو معلوم، فإنه وقت عيسى يقتل اليهود، وينصر الله عيسى والمسلمين عليهم، ويقتل الدجال، هذا لا شك فيه، في وقت عيسى.

لكن يحتمل أن يقع قبل عيسى، وأن المسلمين تتحسن أحوالهم، وتستقيم أمورهم على شريعة الله، ويقودهم أمير صالح، أو إمام صالح، يقودهم إلى الحق والهدى،

ويستقيمون على شريعة الله، ثم يتوجهون لقتـال اليهـود، فينصرون عليهم.

هذا كله محل احتمال.

أما في وقت عيسى؛ فلا شك فيه؛ أنـه يقـتلهم وينـصره الله عليهم ﵇؛ مع المسلمين عند قتله للدجال". اهـ

قاعدة:

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

قال الشيخ السعدي في «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٤١٤): "﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾، من النعمة والإحسان ورغد العيش.

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾، بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها؛ فيسلبهم الله عند ذلك إياها.

وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية؛ فانتقلوا إلى طاعة الله؛ غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة.

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾، أي: عذابًا وشدةً وأمرًا يكرهونه؛ فإن إرادته لا بد أن تنفذ فيهم.

﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ ، فإنه لا مردَّ له، ولا أحد يمنعهم منه.

﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾[الرعد:١١]، يتولى أمورهم؛ فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه، فليحذروا من الإقامة على ما يكره الله خشية أن يحل بهم من العقاب ما لا يرد عن القوم المجرمين". اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٠٥-٢٠٦): "وهل زالت عن أحد قط نعمة إلا بشؤم معصيته؟! فإن الله إذا أنعم على عبد بنعمة حفظها عليه ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾ [الرعد:١١].

ومن تأمل ما قص الله -تعالى- في كتابه من أحوال

الأمم الذين أزال نعمه عنهم؛ وجد سبب ذلك جميعه إنما هو: مخالفة أمره وعصيان رسله.

وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره، وما أزال الله عنهم من نعمه؛ وجد ذلك كله: من سوء عواقب الذنوب؛ كما قيل:

إذا كنت في نعمة فارعها

فإن المعاصي تزيل النعم

فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه؛ فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس.

ومن سافر بفكره في أحوال العالم؛ استغنى عن تعريف غيره له.

والمقصود: أن هذه الأسباب شرور ولا بد!". اهـ

وقال ﵀ في «الداء والدواء» (١/ ١٧٩-١٨٠): "ومن عقوبات الذنوب: أنها تُزيل النعم، وتُحِل النِّقم.

فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلَّت به نقمة إلا بذنب؛ كما قال علي بن أبي طالب ﵁: ما نزل بلاءً إلا بذنب، ولا رُفِعَ بلاءً إلا بتوبة.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[الشورى:٣٠].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾ [الأنفال:٥٣].

فأخبر تعالى: أنه لا يغيِّر نعمه التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغيِّر ما بنفسه، فيغيِّر طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره وأسباب رضاه بأسباب سخطه.

فإذا غيَّر غُيِّر عليه؛ جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

فإن غيَّر المعصية بالطاعة؛ غيَّر الله عليه العقوبة بالعافية، والذل بالعز.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾[الرعد:١١]". اهـ

الخاتمة

هذا ما تيسر لي من تعليقات يسيرة على أهم الفوائد المستنبطة من حادثة الأقصى وغزة -فك الله أسرهما-.

وهي تعليقات سلفية أثرية؛ نصرة للمسلمين المستضعفين، ومحاربة لليهود الظالمين، والرافضة الحاقدين.

وكانت التعليقات بمشاعر سنية سلفية شرعية صافية قويمة سليمة، بعيدة عن المشاعر الحزبية، والعواطف الحركية، وهيشات الأسواق التنظيمية، والحماسات الخارجية، والدروشات الطرقية!

وهي تعليقات منضبطة بأدلة ونصوص الوحيين: الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة الصالح، ومؤيدة بنقولات من أقوال العلماء الربانيين السلفيين؛ وذلك

حتى نسلك بالعواطف الشرعية سبيل العزة لنصرة الأقصى وغزة.

اللهم نجِّ المستضعفين من المسلمين، وفرِّج عن إخواننا في غزة وفلسطين وفي كل مكان.

اللهم عليك باليهود الملاعين الظالمين، والرافضة الحاقدين المفسدين، والصليبيين المتآمرين الغادرين، وجميع أعدائك اعداء الدِّين.

«اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ؛ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ».

اللهم حرر المسجد الأقصى من أيدي اليهود الملاعين الغاصبين، وأعده إلى أيدي عبادك المتبعين الموحدين.

اللهم احفظ بلادنا وجميع بلاد المسلمين السُّنية من كيد اليهود والصليبيين والرافضة والخوارج أجمعين.

اللهم آمين.

كتبه

م. منتصر بن عبد الفتاح بن ظاهر بيبرس

فهرس مواضيع الكتاب

مقدمة ١
مائَـةُ فائِـدةٍ مُستخلَصةٍ مِن حَـادثة الأَقصَى وغَزَّة................ ٤
كُفر اليهود وضلالهم.. ١٧
غضبُ اللَّه على بني إسرائيل في (التوراة)........................ ٢٥
جُبن اليهود وخوفهم ٢٩
إطفاء اللَّه حروبهم على الإسلام ٣٣
افـتراق اليهود ٣٦
نقض اليهود المواثيق، وقتلهم الأنبياء؛ ومنه: الهمُّ بقتل النبي ﷺ ٣٩
عداوة اليهود للمسلمين ٤٥
نصرة المسلمين على اليهود.. ٤٩
الكذب والنفاق عند الرافضة ٥٤
مشابهة الرافضة لليهود.. ٥٩
تأسيس عبد اللَّه بن سبأ اليهودي لمذهب الرافضة ٦٧
عدم اهتمام الرافضة بالمسجد الأقصى وبيت المقدس، وتسليمهم بيت المقدس للكفار . ٧٢
معاونة الرافضة والنصيرية لليهود والنصارى في الاستيلاء على بلاد الإسلام، ومعاونة الرافضة للكفار والتتار في حروبهم على أهل السُّنة........................ ٧٦
بيان أن دعوة الحزبيين للتقريب بين الرافضة وأهل السنة: دعوة قديمة باطلة مكشوفة، وأن الترامي في أحضان الرافضة للمنفعة والنصر: فعل قبيح شنيع ٩١
وقوف الغرب مع اليهود ١٠٦

خطأ الحزبيين بتعاونهم مع النصارى وإدخالهم في تنظيماتهم؛ فضلاً عن تسليمهم المناصب فيه! ١١٤
خطر (التولي والموالاة) مع اليهود والرافضة من قِبل (الحكام والمحكومين)، وذِكر حكمهما، وفساد منهج الحزبيين في تولي الرافضة ١١٨
خطر (الجاسوس)، وفساد عمله، وذكر الخلاف في قتله ١٢٦
وجوب وقوف البلدان الإسلامية (حكامًا ومحكومين) مع إخوانهم، ودعمهم، والدعاء لهم، ونصرتهم على عدوهم؛ كلٌّ حسب استطاعته ١٣٢
سعي اليهود والغرب والمنافقين والكفار لزرع الفتن والحروب والثورات في البلدان العربية والإسلامية، واستغلال الحزبيين وغيرهم في تأجيج الفتن والثورات والفوضى الخلاقة ١٤٩
ظهور النفاق وذي الوجهين عند وقوع الفتن والحروب على المسلمين ١٦٠
بطلان دعوى وحدة الأديان والبيت الإبراهيمي ١٦٩
الاستغلال الأمثل للقضية الفلسطينية بالطرق السلفية، والتحذير من الاستغلال الأفشل لها بالطرق الحزبية ١٩٢
فقه آية سورة الروم، والفرح بنصرة المخالف على الكافر، والوقوف مع المسلم لجامع الأخوة الإسلامية، ولا يفرح بنصرة الكافر على المسلم ٢٠١
الوقوف مع المخالف في حربه على الكافر لا يعني: إقراره على مخالفته للكتاب والسنة، ولا بد من الرد على أخطائه، والرد على المخالف لا يعني: مؤازرة اليهود أو النصارى وتأييدهم والوقوف معهم ضد المخالف! ٢٠٩
الدعوة إلى التوحيد على منهج الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة والإعداد بالتصفية والتربية: علاج لضعف المسلمين، وأساس في الإعداد الإيماني ٢١٦
الاجتماع على منهج الكتاب والسنة: رحمة، والتحزب والفرقة: عذاب ٢٢٩
وجوب الإعداد المادي من العدة والسلاح قبل الدخول في الحروب ٢٣٥

مراتب الجهاد ٢٤٠
البدع والمعاصي أساس ضعف المسلمين وسبب هزيمتهم في الحروب ٢٤٦
القتال لا يكون إلا لإعلاء كلمة اللَّه، ولا يكون لعصبية أو جاهلية أو وطنية أو حزبية أو تحت راية عمية!! ٢٥٣
أهمية الدعاء في الحروب، وبيان فساد قول أهل الضلال: أن الدعاء سلاح الضعفاء... ٢٦٥
الجهاد يكون بالنفس والمال واللسان وأهمية جهاد الحجة والبرهان ٢٧٢
الحكمة والسبب في تسليط أعداء اللَّه على المسلمين ٢٨٥
السعي في مداواة الجرحى، وإرسال المساعدات والمستشفيات الميدانية إلى أرض المعركة؛ من الجهاد ٢٩١
الاعتماد والرجوع إلى اللَّه في أي نصر على الأعداء، وعدم الاغترار بالنفس والقوة، أو العدد والعدة، ونحوها ٢٩٥
النصر مع الصبر -مع تحقيق أسباب النصر- ومن عرف اللَّه ونصره في الرخاء عرفه ونصره في الشدة ٣٠٠
الإشارة إلى أنواع الجهاد، ومتى يتعين، وشروطه، ومسقطاته ٣٠٩
الكفار: إما أهل حرب، وإما أهل عهد، ومقاتلة الحربي لا يعني: مقاتلة المعاهد أو من أُعطي الأمان ويجوز مهادنة الكفار إذا رأى الحاكم مصلحة فيها ٣٢٥
الإيمان الغيبي بأننا سنقاتل اليهود في آخر الزمان، وأننا سننتصر عليهم ونهزمهم، وأن ذلك سيقع وهو من أشراط الساعة ٣٤١
قاعدة: (إن اللَّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ٣٤٦
الخاتمة ٣٥١
الفهارس ٣٥٤

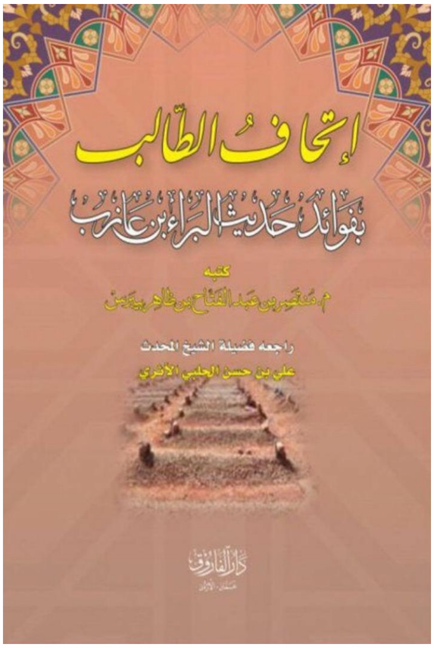
إتحاف الطالب
بفوائد حديث البراء بن عازب
كتبه
م. منتصر بن عبد الفتاح بن طاهر بيبرس
راجعه فضيلة الشيخ المحدث
علي بن حسن الحلبي الأثري
دار الفاروق

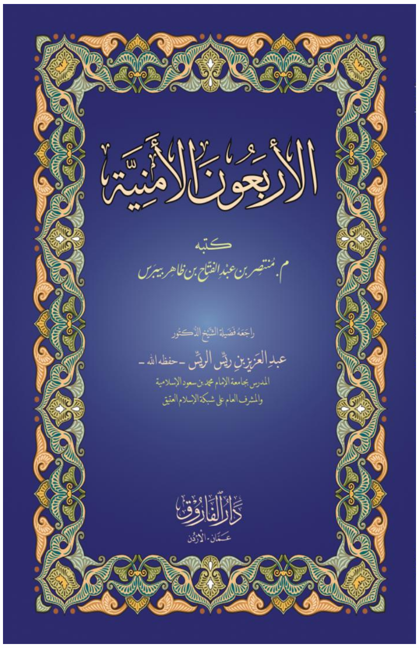
الأربعون الأمنية
كتبه
م. منتصر بن عبد الفتاح بن طاهر بيبرس
راجعه فضيلة الشيخ الدكتور
عبد العزيز بن ريس الريس - حفظه الله -
المدرس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
والمشرف العام على شبكة الإسلام العتيق
دار الفاروق
عمّان - الأردن

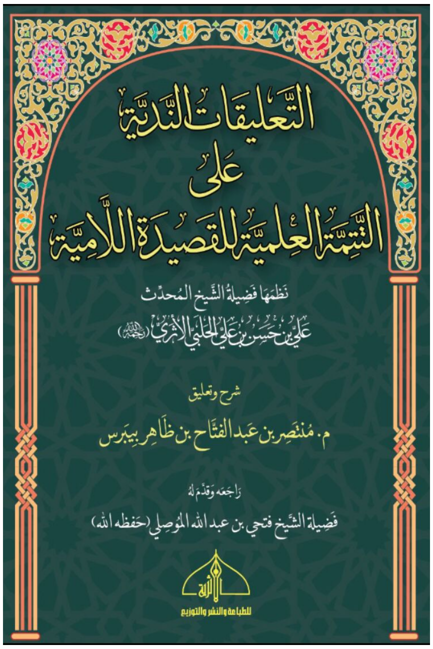
التَّعليقاتُ النَّديَّة
على
التَّتمَّة العِلميَّة للقَصيدة اللَّاميَّة
نَظمَها فضيلةُ الشَّيخ المُحدِّث
عليّ بن حسن بن عليّ الحلبي الأثريّ (رحمه الله)
شرح وتعليق
م. مُنتَصِر بن عبد الفتَّاح بن ظَاهِر بيبَرس
رَاجعَه وقدَّم له
فَضِيلة الشَّيخ فتحي بن عبد الله المُوصِلي (حفظه الله)
للطباعة والنشر والتوزيع

الفُروقَات الأَثرِيَة
بين
أصحَاب الدَّعوة السَّلفيَّة
وأدعِياء السَّلفيَّة السُّرُوريَّة
(مائة فرقٍ بين السَّلفيَّة والسُّروريَّة
ملخصةً من «حوار هادئ مع سُروري»)
بقلم
م. منتصر بن عبد الفتاح بن طاهر بيبرس
قرأها واطَّلع عليها
فضيلة الشيخ
عبد المالك الرمضاني الجزائري – حفظه الله –